لجنة البيان العربي
مؤسسة عربية للتأليف والترجمة والنشر

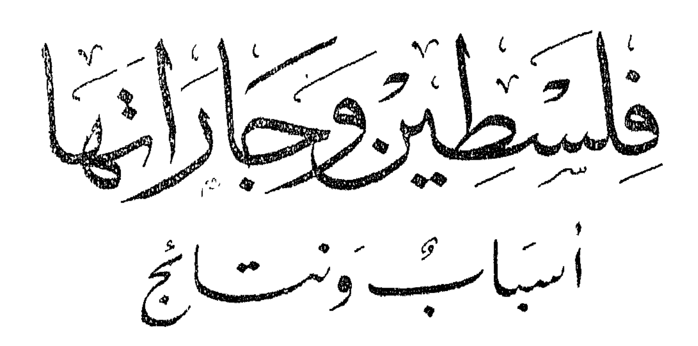
محمد علي علوبة

فلسطين وجاراتها

أسباب ونتائج

مطبعة لجنة البيان العربي
بالقاهرة

محمد علي علوبة



[أهدى المؤلف حق التأليف فى الطبعة الأولى إلى الاتحاد العربي بالقاهرة]

الطبعـــة الأولى

سنة ١٩٥٤



مطبعة لجنة البيان العربي

[illegible]

إهداء الكتاب

إلى أرواح شهدائنا الذين رووا بدمائهم ثرى فلسطين .

وإلى الذين أوذوا في حرياتهم أو أجسامهم أو أموالهم .

أقدم كلماتي تقديراً للبطولة والتضحيات ، وتذكيراً بمأساة لم تنته فصولها .

وعلى العرب أن يتخذوا سبيلهم في هذا الكفاح . وأن يعلموا أن مصيرهم بأيديهم . فإما بقاء وإما فناء .

وفي الماضي عظات وعبر . فهل آن لنا أن نعتبر ؟

« إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم » .

محمد علي علوبة

ربيع الآخر سنة ١٣٧٤
ديسمبر سنة ١٩٥٤



مقدّمة

لى بفلسطين صلات لا تنفصم عراها . فقد كانت وما تزال عزيزة علىّ وعلى غيرى ، بحكم العروبة والجوار واشتباك المصالح ، ووحدة العادات والتقاليد ، وحدة مزجت بين آمالنا وآلامنا ، فما يصيبها من خير أو شر يصيبنا جميعاً .

وتوثقت صلتى الخاصة بفلسطين وأهلها من يوم أن قامت فكرة الدفاع عن البراق الشريف فى صيف سنة ١٩٣٠ . ذلك أن عصبة الأمم حين اشتد النزاع بين العرب واليهود على محل البراق الملاصق للمسجد الأقصى ، قررت تأليف لجنة محايدة للفصل فى هذا النزاع . تكونت من ثلاثة هم : وزير سابق لوزارة خارجية السويد رئيساً ، ووكيل محكمة استئناف برن السويسرى ، وآخر هولندى كان حاكما لأندونيسيا — كعضوين — .

وجاءنى المرحوم أحمد زكى (باشا) المعروف بشيخ العروبة ، ومعه المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الرئيس السابق لجمعيات الشبان المسلمين ، برفقة مندوب فلسطينى أرسله المجاهد الكبير السيد محمد أمين الحسينى مفتى

فلسطين الأكبر وزعيمها ، وطلبوا إلىّ الذهاب إلى القدس للدفاع أمام هذه اللجنة الدولية المحايدة ، فلم أتردد فى القبول .

ذهبنا جميعاً إلى القدس ، وأقمت هناك زهاء عشرين يوماً . وكان يدافع عن دعوى اليهود ، حاخام فلسطين ، ومحام هناك ، وثالث هو أستاذ يهودى نمساوى من كبار المحامين ، حضر خصيصاً للدفاع فى هذه القضية .

و بعد مرافعات طويلة وأخذ ورد ، وتقديم مذكرات منى ومن زكى (باشا) ، قررت اللجنة — اعتماداً على الحجج الرسمية التى قدمناها — أن البقعة المتنازع عليها ملك للأوقاف الاسلامية . وأن لليهود أن يذهبوا إليها لتأدية عباداتهم وصلواتهم ، باعتبار أن هذا كان منحة من سلطان تركيا ، وتسامحاً منه فى الماضى .

شجعنى هذا الفوز — وهو انتصار للحق والعدل من رجال محايدين ذوى مكانة — أن أوالى خدماتى لفلسطين . فساهمت بعد فترة من الزمن فى إقامة المؤتمر العالمى بالقدس فى ديسمبر سنة ١٩٣١ م . وقد جمع عدداً غفيراً من أولى الرأى والمكانة من العرب والمسلمين من جميع الأقطار ، وأصدر قرارات أملا فى أن تكون هذه أدلة كافية ، تقنع انجلترا المنتدبة وغيرها بحق فلسطين فى حريتها واستقلالها .

وفى سنة ١٩٣٣ ذهبت مع سماحة المفتى إلى شرق الأردن ، ومنه إلى العراق ، ثم إلى شبه القارة الهندية ، للدعاية لإنشاء جامعة عربية فى القدس . كما فصلنا ذلك فى هذا الكتاب .

ثم قمنا بعقد مؤتمرات أخرى منها مؤتمر « بلودان » فى سوريا سنة ١٩٣٧ ، وقد حضره كثير من العلماء والوزراء والكبراء ، وأصدرنا فيه قرارات هامة .

وقد رأينا الاستمرار فى الدفاع عن فلسطين ، ثقة منى بأن العدل يفوز ولو بعد حين . ففكرت فى عقد مؤتمر كبير دعوناه « بالمؤتمر البرلمانى العالمى للبلاد العربية والاسلامية » ويختلف عن باقى المؤتمرات فى أنه يجمع أعضاء البرلمانات العربية والإسلامية ، كما يجمع رؤساء العشائر ، ووجهاء البلاد المحرومة من التمثيل البرلمانى باعتبارهم متحدثين عنها . وبذلك تكون قراراته معبرة أدق تعبير عن رغبات الأمم العربية والإسلامية ، ويكون لها أثر مرموق .

وأرسلت الدعوة إلى أعضاء البرلمان المصرى والعراقى والسورى ، وإلى الكبراء فى لبنان والهند والمغرب واليمن ويوغوسلافيا والصين وفلسطين وبلاد المهجر بأمريكا وغيرها . ورغم العقبات التى أقيمت فى سبيل انعقاد

هذا المؤتمر فإنه نجح نجاحاً باهراً وأتت إليه الوفود من جميع هذه البلدان . وكان انعقاده يوم ٧ أكتوبر ١٩٣٨ والأيام التالية ، في سراى آل لطف الله بالجزيرة بالقاهرة .

و بعد أن ألقيت كلمة الافتتاح ، رأيت أن أضفى على المؤتمر صفة شبه رسمية ، ليكون كأنه برلمان عربي إسلامي عام . فطلبت إلى صديقي الدكتور « محمد بهي الدين بركات » رئيس مجلس النواب المصري حين ذاك أن يرأس المؤتمر في يوم انعقاده الأول ، كما طلبت إلى القائد المحترم « مولود مخلص » رئيس مجلس النواب العراقي أن يرأس انعقاد اليوم الثاني ، وطلبت إلى الأستاذ الكبير السيد فارس الخوري رئيس مجلس النواب السوري أن يرأس اجتماع اليوم الثالث ، فتفضلوا بالقبول مشكورين . وكان لهذا المؤتمر أثره البالغ في العالم العربي والإسلامي . وتكونت منه لجان ، اطلعت على التقارير والمكاتبات المقدمة من الأفراد والجماعات العربية والإسلامية في أوربا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة والأرجنتين وشيلي وفنزويلا . وأصدرت قرارات منها تشكيلي برئاسة لجنة مكونة مني ومن أصدقائي : السيد فارس الخوري . والسيد خليق الزمان — من كبار مسلمي بلاد الهند ، والذي أصبح بعد ظهور دولة باكستان رئيس

الرابطة الإسلامية فيها ثم حاكما للباكستان الشرقية — . والسيد عبد الرحمن صديق — من كبار رجال الأعمال فى كلكتا ومن زعماء المسلمين فى الهند — .وكانت مهمة هذه اللجنة السفر إلى إنجلترا لإقناع ولاة الأمور فيها بحق عرب فلسطين ،وألا حق لليهود فى اغتصاب أرضهم .

واتفقنا على أن يسافر ثلاثة منا بالباخرة من الإسكندرية إلى انجلترا ، وأن يسافر السيد فارس الخورى من دمشق إلى تركيا ومنها إلى انجلترا ، وكانت دهشتنا عظيمة عند ما أرسل إلينا من « استامبول » برقية تفيد منعه عن مواصلة السفر . ووصلنا نحن الثلاثة إلى لندن وأرسلنا بطاقات إلى رئيس الوزارة ووزير الخارجية برغبتنا فى المقابلة ، فردت الحكومة البريطانية بعدم إمكان ذلك لظروف سنشرحها فى هذا الكتاب . فواصلت السعى إلى أن قيل لى إن بالامكان مقابلتى منفرداً لوزير المستعمرات البريطانى ، وتمت المقابلة وسنشرح ذلك تفصيلا .

وعند ما دخلت الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها — بعد انتهاء الانتداب البريطانى — وقامت الحرب بين العرب واليهود ، ساهمت فى تكوين هيئة باسم « هيئة وادى النيل العليا لانقاذ فلسطين » تألفت من كبار القوم ، وذوى النفوذ فيهم ، يمثلون جميع طبقات الشعب

المصرى . وكان لها فروع فى الاسكندرية وغيرها . وقد جمعت من المال شيئاً كثيراً ، أمدت منه الشعب الفلسطينى بالغذاء والكساء والدواء ، وجهزت كذلك نفراً من شباب مصر جاهد فى فلسطين . وكانوا مثلا فى البطولة والفداء . واستشهد كثير منهم ، وسيسطر التاريخ أسماءهم بحروف من نور . واستمرت هذه الهيئة زمناً طويلا أدت واجبها كاملا ، وكان الاتحاد العربى بالقاهرة صاحب الفكرة وراعيها .

وبهذا كله كانت صلتى بفلسطين وثيقة ، وأصبحت خادماً لقضيتها ، وسأبقى كذلك ما دمت حياً .

وبما أنى وقفت على كثير من تطورات هذه المأساة التى لا مثيل لها فى الأجيال الأخيرة ، فقد دفعنى ضميرى إلى تحرير هذا الكتاب ، لكشف عن بعض الحقائق ، وإظهار ما حاق بفلسطين من نكبات ، كى يطلع الرأى العام العالمى على جانب من هذه القصة المؤلمة .

وآمل أن يستيقظ الضمير العالمى ، ويطالب برد الحق إلى أهله ، ورفع الظلم عن المنكوبين فإن الرجوع إلى الحق فضيلة وتأييد السلام لا يكون بالظلم والعسف والجبروت ، فالقوة يجب أن تكون خادمة للعدل . واعتقادى أن كثيرين فى العالم يرون مصلحة الأمم ومصلحة السلم فى أن يرقى الإنسان ،

وترقى الدول إلى مستوى النزاهة والإنصاف ، لا أن ينساق العالم إلى اختراع المواد المهلكة ، وجعلها تتحكم فى مصير الأمم .

ويكفى الإنسان فخراً أن ينادى بكلمة الحق ، وأن يضع لبنة من لبناته ، ليقوم صرح الإنسانية على أساسه .

ولعلى بوضع هذا الكتاب الصغير أنبه الغافلين ، وأفى مصلحة فلسطين والعرب ، ومصلحة العالم بأسره . وأنا كبير الأمل أن سيضفى فهم الحقائق على العالم ضوءا وهاجاً ، تنقشع أمامه ظلمات الجهل والغدر والظلم ، وتزول به أسباب التطاحن فى عالم مضطرب ، يتوق إلى العيش فى حرية واطمئنان . م ؟

فلسطين والضمير الإنسانى

لفلسطين أهمية بالغة ، فى نظر الفلسطينيين لأنها وطنهم ، وفى نظر العرب لأنها قلب البلاد العربية ، وفى نظر المسلمين لأن فيها كثيراً من مقدساتهم . كما أنها موضع تقديس أهل الكتاب جميعاً من مسيحيين ويهود . وفوق ذلك كله فإن موقعها الجغرافى له خطورته ، فهى تطل على البحر المتوسط ، وتتاخم بلداناً كثيرة فى آسيا وافريقية ، إذا سيطر عليها شعب من غير جنس أبناء البلاد هدد السلم فى المنطقة كلها ، فما بالك إذا امتلكها شعب يعادى كل من حوله . شعب أتى فاتحاً متحديا ، وطرد أصحاب البلاد من أرضهم ، التى فيها مقدساتهم وأموالهم ، و بيوتهم وقبور آبائهم وأجدادهم .

إنها لوصمة تلطخ جبين الإنسانية ، وتهز الشعور والضمير العالميين ، وفضيحة لا تليق بحضارة العصر ومدنية القرن العشرين أن تتواطأ بعض حكومات الأمم الحرة على طرد شعب متجانس من موطن آبائه وأجداده ، ليحل محله أناس من شُذّاذ الأرض ، مختلفو المذاهب والأجناس ، واللغات والثقافات ، والعادات والتقاليد والأمزجة . وسيسجل التاريخ هذا

الجرم الفاحش الذى يرتد بالجنس البشرى إلى أحط تصرفات الهمج فى ظل قانون الغاب . وان أفظع الجرائم التى يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد ، أو استبداد قبيلة بقبيلة ، أو إخضاع شعب لشعب ، وإنما هى طرد أمة آمنة من وطنها دفعة واحدة ، ونهب مالها ، وتقتيل أفرادها ، رجالا ونساء وأطفالا ، وتشريد ما بقى منهم ، وهو ما وقع فى هذا العصر الذى يسمونه عصر النور .



قامت فى هذا القرن وما قبله حروب ، استذل المنتصرون فيها الأمم المهزومة ، فجردوها من أسلحتها ، وفرضوا عليها تعويضات باهظة أو محتملة ، ولكنهم لم يطردوا المهزومين من ديارهم ، ولم يفرضوا عليهم فقدان أوطانهم وانتهى أمر المهزومين بأن قاسوا آلام الهزيمة زمنا ما ، وبقوا فى أوطانهم يعملون ويكدون حتى التأمت جراحهم ، وعادوا كما كانوا أمما ، لها طابعها وكرامتها وقوتها ، تعيش فى أرضها حرة ، بعد أن عوقبت عقاب الهزيمة المؤقت . ولم نسمع قط أن أمة ذات حضارة وتاريخ ، تعاقب — بلا جريرة — بالطرد والتشريد ، والفقر والحرمان ، والذل والمهانة ، والتعرض للأمراض الفتاكة ، وتترك هائمة على وجهها ، تطلب الغوث ولا مغيث ، والعون

ولا معين ، وقد فرض عليها الانحلال والفناء .

هذا هو وضع فلسطين ، وهذا هو حظها من الحياة ، ونصيبها من مدنية القرن العشرين ! !

* * *

ولما كانت نكبة فلسطين غير قاصرة عليها ، والشر الذى حاق بها سيجتاح جاراتها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فمن الواجب علينا أن نبسط الحقائق ونتدارسها ، ونبين كيف حيكت الدسائس . وكيف نفذت المؤامرات . وكيف ضاع هذا البلد العربى ، وشرد أهله فى الآفاق . حتى يدرك الغافلون أن بلادنا كلها فى خطر ، وأن مأساة فلسطين ستعقبها مآس ونكبات ، إن لم نفهم ونتدبر ، ونستعد لدفع الأذى الماحق ، والشر المستطير .

ولما كانت قضية فلسطين فذة فى أسبابها ونتائجها ، فريدة فى تطوراتها وملابساتها ، غريبة فى الدسائس التى حيكت حولها ، كان لزاماً أن نفهم الصهيونية على حقيقتها ، وأن نتعرف الصلة بينها و بين دين اليهود ، وأن نقف على الأسباب التى دفعت بعض الحكومات إلى مناصرة أولئك الذين دبروا تلك المؤامرة لاجتياح فلسطين ، وما فتئوا يدبرون و يعملون لتحقيق مآرب أصبحت غير خافية .

ويقتضينا البحث أن نبدأ بذكر طرف من تاريخ ظهور أديان التوحيد الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام ، بادئين بأبى الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام .

***

الخليل إبراهيم

منذ نحو ألفى سنة قبل الميلاد نشأ الخليل إبراهيم عليه السلام كلدانيا فى القسم الجنوبى من العراق . وقام يدعو إلى وحدة الخالق جلّ شأنه ، وينادى بعبادة الواحد الأحد بين أقوام يعبدون الأصنام . ثم هاجر من أور الكلدانيين بجانب الفرات إلى أرض كنعان (فلسطين) ، ومعه زوجته «سارة» ، ولوط ابن أخيه . ودخلها لا فاتحاً ولا حاكما ، بل نبياً يعبد الله ، وفرداً يسعى إلى رزقه ويرعى الكلأ . ثم كانت المجاعة فى فلسطين فارتأى أن يرحل ومن معه إلى مصر ، فدخلها أيام حكم الرعاة (الهكسوس)(١) . وأغلب الظن أن كان ذلك أبان حكم الأسرة الخامسة عشرة

(١) الرعاة (الهكسوس) قوم وثنيون أتوا إلى مصر تباعا من جهة فلسطين وسوريا نتيجة القحط الذى تكرر وقوعه فى تلك البلاد ، فتسللوا إلى مصر جماعات جماعات حتى كثر عديدهم ، وانتهزوا فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية ، فاغتصبوا السلطة فى مصر وحكموها ، وكونوا أربع أسر ، من الأسرة الرابعة عشرة =

وأقام فيهــا ما شاء الله أن يقيم ، ثم خرج منها مزوَّداً بالمــال والمــاشية . ورجع إلى جهة الشمال للعيش فيها ، وتزوَّج من هاجر (المصرية) وأنجب منها سيدنا إسماعيل . و بعد سنوات رزق من زوجته الأولى « سارة » بسيدنا إسحاق . ثم حمل ابنه الأول إسماعيل وأمه « هاجر » إلى مكة وأسكنهما هناك . و بعد أن شبَّ إسماعيل عاون أباه فى بناء الــكعبة بمكة ، وقصة هذا البناء ، وتفجر بئر زمزم من قبل ، وقصة الفداء ، كل ذلك وارد فى كتب التاريخ وفى الــكتب المقدسة ، فلا محل لذكره فى بحثنا هذا .

ثم توفى الخليل إبراهيم ، وترك ابنه الأكبر فى الحجاز ، و إليه ينتسب العرب . وأما إسحاق ابنه الأصغر ، الذى بقى فى كنعان ، فقد أنجب ولدين هما « عيسو » و « يعقوب » (إسرائيل) وإلى هذا الأخــير ينتسب بنو إسرائيل .

= إلى الأسرة السابعة عشرة . واستمر حكمهم من حوالى سنة ٢٠٩٨ إلى سنة ١٥٨٧ قبل الميلاد . ولمــا كانوا أجانب عن البلاد ، فقد جوبهوا بمقاومات عنيفة من المصريين . واستطاع أمراء الجنوب ـــ تحت زعامة مدينة طيبة ـــ أن يواصلوا المقاومة حتى تمــكن « أحمس » رأس الأسرة الثامنــة عشرة المصرية من طردهم نهائياً من مصر ، وتعقبهم شرقاً فى فلسطين وسوريا وما بعدها .

أقام « يعقوب » فى أرض كنعان ، وأنجب اثنى عشر ولدا ، منهم « يهوذا » الابن الرابع — ومن اسمه أخذت كلمة يهود — ومنهم يوسف الصديق الذى تآمر عليه إخوته ، وألقوه فى الجب ، ثم أخذته السيارة وبيع لعزيز مصر حوالى سنة ١٧٢٩ قبل الميلاد وتربى فى بيته ، ثم ارتقى إلى أن أصبح أمينا على خزائن مصر (وزير مالية وتموين) . وكان ملوك مصر فى ذلك الحين من الرعاة الأجانب (الهكسوس) كما أسلفنا ، وقد استقدم يوسف أبويه وأهله ، فأقاموا بها زمناً طويلاً ينعمون بخيراتها ، ويكتنزون المال ، ويحتفظون بدينهم وتقاليدهم وعنصرهم . ولما قويت الحركة الوطنية فى مصر ، وتمكن « أحمس » رأس الأسرة الثامنة عشرة من طرد الرعاة (الهكسوس) لم يتعرض لبنى إسرائيل ، فظلوا بمصر تحت حكم الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية آمنين ، إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة . ومن ملوكها « رمسيس الثانى » الفاتح العظيم ، صاحب المعارك المشهورة ضد الحثيين فى بلاد الشام ، وأشهرها موقعة قادش .

***

ويمكن القول أن موسى عليه السلام ، ظهر فى مصر أيام « رمسيس الثانى » ، وكان عدد اليهود قد كثر ، وثراؤهم قد ازداد ، وتدخلوا بذلك

فى اقتصاديات البلاد وسياستها ، فأوجس المصريون منهم خيفة حتى إذا خلف « منفتاح » أباه « رمسيس » أمعن فى اضطهاد هؤلاء الدخلاء وتسخيرهم، فأجمعوا أمرهم على ترك مصر ، تحت زعامة سيدنا موسى وأخيه هارون .

وقد يتساءل القارئ ، كيف أن فرعون مصر يضطهد اليهود و يعذبهم ثم يحول دون هجرتهم . والظاهر أنهم كانوا فى ثراء وكثرة عدد عند ما أرادوا الخروج من مصر ، فخشى فرعون أن يلتقوا بأهل الشمال أعداء مصر ، وهم يمتون إليهم بصلات القُربى ، وقد يتكتلون معهم ، فتتعرض بذلك مصر لأخطار وحروب تخشى مغبتها ، فخرج فرعون وراءهم ، ليلويهم عن عزمهم ، فغرق هو ومن معه فى خليج السويس .

و يرجح بعضهم أن خروج موسى كان أيام «منفتاح» الذى انتهى حكمه حوالى سنة ١٢١٣ قبل الميلاد . كما يقول البعض أنه لم يرد ذكر لموسى أو لبنى اسرائيل فى أى أثر من الآثار المصرية إلا فى حجر من عهد (منفتاح) ذكر فيه أن إسرائيل، « أبيدت ولم يبق لها بذر » ولم يشر إلى موسى أو إلى خروج بنى إسرائيل، ولم يرد فيه عن إسرائيل غير هذه الجملة ضمن الكلام عن بلدان فلسطين، مما يدل على أن بنى إسرائيل كانوا فى ذلك الوقت فى فلسطين . وعلى هذا يكون خروج بنى إسرائيل فى عهد سابق لعهد منفتاح .

خروج اليهود من مصر

خرج اليهود من مصر ، بعد أن أقاموا فيها زمنا طويلا ، مزودين بالميرة والذهب والفضة . وانفلق لهم بحر « سوف » كما تقول الكتب الدينية ، ووصلوا إلى شبه جزيرة سينا سالمين ، بينما غرق فرعون وجنوده في اليم . وأقاموا هناك في التيه أربعين سنة ، وفيه أنزل الله عليهم المن والسلوى . وهنا تقول التوراة ما يأتي :—

« ... لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا ، وعصيتم قول الرب إلهكم ، وتمرمرتم في خيامكم . وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدى الأموريين لكى يهلكنا »[1] .

ولا داعى لشرح أسباب عصيانهم الله بأكثر مما أسلفنا . وفى التيه ماتت هارون ، وتوفى بعده موسى ، وحل محله يوشع فى قيادة اليهود . ثم اتجهوا بعد السنوات التى قضوها فى التيه إلى جهة الشمال .

وتقول التوراة : « ... ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التى حلف لآبائك أن يعطيك

---

(١) سفر التثنية إصحاح ١ .

أرضا تفيض لبنا وعسلا أنك تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر . سبعة أيام تأكل فطيرا . وفى اليوم السابع عيد للرب ... »

« وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة ، لأن الله قال : لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر . فأدار الله الشعب فى طريق بريه بحر سوف ، وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر . وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه كان قد استحلف بنى إسرائيل بحلف . قائلا : إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا معكم ... »

« وارتحلوا من سُكّوت ونزلوا فى إيثام فى طريق البرّية . وكان الرب يسير أمامهم . نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضئ لهم لكى يمشوا نهاراً وليلا . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلا من امام الشعب »(١)

وجاء فى التوراة « ... فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين،

---

(١) سفر الخروج إصحاح ١٣ .

والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين [1] » .

يتضح من هذا ظهور نزعة الغزو والفتح عند اليهود . إذ تأمرهم التوراة أن يفتحوا البلاد الواقعة بين النيل والفرات ، ويأخذوها لأنفسهم بالطريقة التي أباحتها لهم التوراة . كما جاء فى الإصحاح الآتى : —

« ... حين تقرب من مدينة لكى تحاربها . استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك لكى لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم، التى عملوا لآلهتهم، فتخطئوا إلى الرب إلهكم .. » [2]

(١) سفر التكوين إصحاح ١٥ .
(٢) سفر التثنية إصحاح ٢٠ .

الاعتداء اليهودى الأول على فلسطين

سار اليهود إلى جهة الشمال كما أمرتهم التوراة إلى أن وصلوا إلى بلاد الأردن شرق النهر. ثم تقول التوراة إن الله أمرهم بعبور هذا النهر نحو الغرب أى نحو أرض كنعان (التى تسمى الآن فلسطين) ووعدهم بامتلاكها فعبروه وساروا جميعاً ومعهم الكهنة يحملون تابوت الرب حتى مدينة « أريحا » وتفصيل ذلك وارد فى التوراة حيث تقول :

« ... وكان فى المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن « يشوع » قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل مافيها محرما للرب. راحاب الزانية فقط، تحيا هى وكل من معها فى البيت، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما. وأما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تحرموا وتأخذوا من الحرام وتجعلوا محلة إسرائيل محرمة، وتكدروها. وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدسا للرب وتدخل فى خزانة الرب. فهتف الشعب، وضربوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور فى مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة. كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة..

وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض ادخلا بيت المرأة الزانية ، وأخرجا من هناك المرأة وكل مالها كما حلفتما لها . فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وأخوتها وكل ما لها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة إسرائيل . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب . واستحيي يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها ، وسكنت فى وسط إسرائيل إلى هذا اليوم . لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكى يتجسسا « أريحا »(١) .

* * *

حكم داوود وسليمان

وتنفيذاً لما سبق من نصوص ، ورغبة من اليهود فى اغتصاب أراضى فلسطين وامتلاكها ، بدءوا كما قلنا بالهجوم على مدينة « أريحا » واستولوا عليها ، وتصرفوا فى أهلها وأموالها على النحو الوارد فى النصوص السابقة .

---

(١) سفر يشوع إصحاح ٦ .

واستمروا بعد ذلك فى غزوهم .

وفى حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد احتل اليهود أغلب البقاع الجبلية فى أرض كنعان . ثم اختاروا « شاؤول » ملكا لهم . وخلفه الملك داود الذى هزم الكنعانيين ووطد ملكه فى أرضهم . ومدة حكمه نحو أربعين سنة من حوالى سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٧٠ قبل الميلاد . ومن بعده جاء الملك سليمان ، ووسع ملكه من جهتى الشمال والجنوب ، وبسط سلطانه على الأراضى التى كانت تفصل بين الامبراطوريتين المتخاصمتين: آشور ومصر .

ولكنه لم يمتلك ساحل البحر المتوسط امتلاكا تاماً . بل كان هذا الساحل ، من الجنوب ملكا لقوم يدعون بالفلسطينيين ، أتوا من جزر البحر المتوسط ، واستقروا فيه ، واستردوا سلطانهم كاملا إثر موت الملك سليمان ، ومن الشمال أى فى لبنان ملكا للفينيقيين .

وعلى هذا كانت فلسطين ، يسكنها أهلوها الكنعانيون ومعهم اليهود فى الوسط ، ويسكنها الفلسطينيون فى الساحل ، ثم توالت العصور واندمج الكنعانيون والفلسطينيون فى وطن واحد باسم فلسطين وقد بنى سليمان هيكله على جبل الثريا بأورشليم «القدس» . ومات حوالى سنة ٩٣٠ قبل

الميلاد . وبموت سليمان تطرق الضعف إلى مملكته ، وانقسمت إلى قسمين : مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة (نابلس) . ومملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم « القدس » وقد اندمجت الأولى فى إمبراطورية أشور، فيما بين سنة ٧٢١ و ٧١٥ قبل الميلاد . وبقيت يهوذا تحت سيادة هذه الإمبراطورية .

وفى سنة ٥٨٥ قبل الميلاد أغار بختنصر ملك بابل ، التى حلت محل آشور ، على مملكة يهوذا وضمها إلى ملكه ، ونهب مدينة القدس ودمرها ، ودمر الهيكل تدميراً تاماً ، ونفى اليهود إلى جهة الفرات فى منطقة بابل وطنهم الأصلى .

وفى حوالى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد بعد أن احتل (قورش) — ملك الفرس — بابل سمح لليهود المنفيين بالرجوع إلى فلسطين ، فرجع إليها بعضهم ، وأخذوا فى إعادة بناء الهيكل ، بتصريح من قورش . وبقى أكثرهم فى بابل .

وبعد قرنين أو أكثر خضع اليهود لحكم البطالسة خلفاء الإسكندر الأكبر ، الذى فتح هذه البلاد من قبل .

وفى سنة ٦٣ قبل الميلاد اكتسح الرومان فلسطين ، واستولوا على

القدس ، ولم تقم لدولة اليهود بعد ذلك قائمة إلى عصرنا هذا .

ومن هذا البيان يظهر بوضوح أن اليهود اغتصبوا فلسطين من أهلها اغتصاباً ، بالقوة والقهر والتقتيل . وأنهم لم يمتلكوا ساحل البحر المتوسط إلا فترة قصيرة . ولم تكن لهم دولة مستقلة ذات سيادة بالمعنى الصحيح إلا في حكم داود وخلفه سليمان . وإذا أضفنا مدة الضعف والانقسام في الدولة اليهودية ، أمكن اعتبار نهاية سلطان اليهود على فلسطين حوالى ٧١٥ قبل الميلاد . وعلى ذلك تكون أطول مدة حكم فيها اليهود فلسطين بين سنة ١١٠٠ وسنة ٧١٥ قبل الميلاد .



حكم الرومان بلاد فلسطين من سنة ٦٣ قبل الميلاد كما أسلفنا ، وبقى هيكل اليهود الثانى الذى سمح قورش ملك الفرس لهم بإعادته ، وعاش اليهود تحت سلطة الرومان إلى أن دمر الأمبراطور تيطوس فى سنة ٧٠ ميلادية مدينة أورشليم وأحرق الهيكل بسبب ثورة قام بها اليهود .

وفى سنة ١٣٥ ميلادية دمر الرومان أورشليم مرة أخرى تدميراً تاماً وحرثوا أرضها . ثم أتى الأمبراطور الرومانى أدريانوس ، وأقام مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنياً ، باسم إلهه المشترى « جوبيتر » . وبقى هذا الهيكل

إلى أن قامت المسيحية فى أورشليم ، فدمره المسيحيون من أساسه فى عهد الأمبراطور قسطنطين ووالدته هيلانه .

***

الفتح العربى

ظلت فلسطين خاضعة للرومانيين والبيزنطيين نحو ٥٠٠ سنة ، إلى أن فتحها العرب سنة ٦٣٦ ميلادية (١٥ هجرية) ، وأقاموا مسجد عمر مكان الهيكل الذى كان لليهود قديماً ثم للوثنيين الرومان من بعدهم ثم دمره المسيحيون الرومان بعد ذلك نهائياً كما أسلفنا .

ومن هذا يفهم بوضوح أن العرب المسلمين لم يغتصبوا هيكلا لليهود ، كما أنهم لم يغتصبوا مملكة من اليهود ، وإنما أخذوا بلداً كان خاضعاً للرومان ، ومن قبل للبطالسة ، ومن قبل لليونان ، ومن قبل للفرس ، ومن قبل لمملكة بابل ، ومن قبل لمملكة أشور . واستمر العرب فى فلسطين إلى عصرنا هذا ، أى نحو أربعة عشر قرنا .

ورغم تعدد الفتوح ظل أهل البلاد الأصليون ، من الكنعانيين ومن عاش معهم ، يقيمون فى دورهم ويستثمرون أراضيهم ، تحت حكم

الأمبراطوريات المختلفة ، والديانات المختلفة . وقد تأثروا بهذه الديانات فكانوا وثنيين ، ثم مسيحيين ، ثم مسلمين ومسيحيين . وتعدد الديانات والعقائد فى تلك الديار لاينفى أنهم أصحابها من يوم أن ولد التاريخ . وهؤلاء السكان أصحاب تلك الديار ، هم الذين شرد أبناؤهم فى الأيام الأخيرة ، وحل محلهم اليهود الأغراب ، الذين لم تكن لهم صلة بفلسطين سوى أنهم أغاروا عليها فى الماضى البعيد وحكموها قهراً فترة قصيرة كما بينا . وهاهم أولاء الآن يعيدون سيرتهم الأولى ، بفضل معونة انجلترا وأمريكا .



اليهودية دين عنصرى

يختلف المؤرخون فى أمر التوراة ، فبعضهم يقول : إن التوراة الحالية لم يكتبها موسى الكليم ، وإنما هى من وضع أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها . ويقول آخرون : إن الأحبار ألفوها على التعاقب فى الفترة بين القرن الثالث عشر والخامس قبل الميلاد ، معتمدين فى تأليفها على روايات سمعوها قبل سبى بابل . وفريق يقول : إن جميع أسفار التوراة دوّنت

بعد السبي البابلي ، ودليلهم على ذلك كثرة الألفاظ البابلية فيها[١] .

وليس يهمنا هذا فى كثير أو قليل ، وإنما الذى يعنينا هو أن اليهود يؤمنون بصحة التوراة ، ويعتقدون أنها صادرة من عند الله ، ويلتزمون أوامرها وقد أوردنا بعضها من قبل ، ويقدسون نصوصها ، ومنها أنهم شعب الله المختار فضلهم على العالمين ، وميزهم على الخلق . وبلغ من اعتقادهم بسمو عنصرهم أنهم يترفعون على العناصر الأخرى ، ولا يندمجون فيها . بل إنهم ينكرون المساواة مع الذين يشتركون معهم فى النسب إلى الخليل إبراهيم ، ويقطعون الصلة بينهم وبين إسماعيل أبى العرب ، حتى قالوا إن « الفداء » كان لإسحق ولم يكن لإسماعيل .

من أجل ذلك لم يسعوا فى التبشير بدينهم ، وأنفوا من اشتراك غيرهم فى شرف الانتساب إليه . وحصروا هذا الشرف فى نسل يعقوب وحده . واعتبروا باقى البشر همجاً أو شبه أنعام « جوييم » خلقهم الله لخدمتهم ، وليكونوا تحت إمرتهم .

على أن هذا لم يمنع دخول عناصر أخرى فى دين اليهود ، مثل أهل اليمن الأقدمين ، الذين اعتنقوا اليهودية طواعية أيام حكم الرومان ، كذلك

(١) انظر كلمة « توراة » فى موسوعة لاروس والموسوعة الفرنسية الكبرى والموسوعة البريطانية .

أثبت علماء الجنس البشرى أن عناصر آرية كثيرة قد اعتنقت اليهودية ومنها الصقالبة والجرمانيون اليهود من سكان سواحل بحر البلطيق ، الذين تدل سحناتهم ، وتكوين رءوسهم ، وألوان بشرتهم ، وزرقة عيونهم ، واصفرار شعورهم — على أنهم آريون قطعاً .

لكن اليهود رغم أن دخل فى دينهم كثير من الشعوب المختلفة والعناصر المتعددة يعتبرون كل يهودى من نسل يعقوب ومن صميم الاسرائيليين . وهذا الخليط المكون من عناصر مختلفة أصبح فى نظرهم شعب الله المختار ، عنصره دين اليهود لا حقيقة أصله وسلالته ، فضلا عن أن سلالة أسباط يعقوب قد قضى عليها الزمن وفنيت فى التاريخ . ولهذا أصبحت العنصرية عندهم هى الدين ، ولو تهود أحد أبناء القرن العشرين لأصبح فى نظرهم من سلالة أسباط يعقوب .

المسيحية دين عالمى

كان من نتيجة تحفظ بنى إسرائيل وعدم التبشير لدينهم ، أن أصبحوا قلة فى العالم بعكس المسيحية التى ظهرت فيما بعد، وعارضت فكرة الديانة العنصرية . وكان السيد المسيح بمخالفته بعض قواعد آبائه الاسرائيليين قد أثار حفيظة اليهود . فحملوا عليه حملات شعواء ، وطالبوا الحاكم الرومانى بتسليمه إليهم، ليعذبوه و يصلبوه . وكثير من نصوص الأنجيل تؤكد مخالفة المسيحية للديانة العنصرية ، وتنكر امتياز عنصر على عنصر . وحسبنا أن نورد هنا بعضها . جاء فى الأنجيل :

« ... ... فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا . لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم . والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار[1] » .

وجاء فيه ما يأتى :

---

(١) أنجيل متى أصحاح ٣

« ... ... الحق أقول لكم لم أجد ولا فى إسرائيل إيمانا بمقدار هذا وأقول لكم أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية[١] » .

وجاء فيه :

« ... ... فانى أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون . من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين يارب يارب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . حينئذ تبدأون تقولون أكلنا قدامك وشربنا وعلمت فى شوارعنا . فيقول أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا . ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون فى ملكوت الله . وهو ذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين[٢] » .

---

(١) أنجيل متى أصحاح ٨ . (٢) أنجيل لوقا أصحاح ١٣ .

وجاء فيه :

« ... ... أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم[(١)] » .

وذكر بولس فى رسالته إلى أهل رومية ، أن الختان لا يجعل الانسان إبنا لابراهيم ، وإنما أبناؤه من يسلكون فى خطوات الإيمان ، وأن إبراهيم أب لنا جميعاً والله جعله أبا لأمم كثيرة .

وجاء فى رسائل بولس لأهل رومية أيضاً « لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يُخْزَى . لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى لأن ربّاً واحداً للجميع غنياً لجميع اللذين يدعون به[(٢)] » .

وذكر أيضاً ، أن حكم الناموس يتم بالروح لا بالجسد ، وأن اهتمام الجسد موت ، وأما اهتمام الروح فهو الحياة والسلام .

ونقل بولس كذلك عن السيد المسيح : أن أعمال الإنسان هى التى تطهره أو تنجسه .

مما تقدم يفهم بجلاء أن دين عيسى عليه السلام يختلف عن دين بنى

---

(١) أنجيل يوحنا إصحاح ٨ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية . إصحاح ١٠

إسرائيل فى أمور أهمها أن المسيحية ديانة لا تأبه بالعنصرية وإنما تنظر إلى أعمال المرء ، وأن لا امتياز بين عنصر وعنصر بعكس ما يدين به اليهود أولئك الذين جعلوا من أنفسهم شعب الله المختار ، واعتبروا باقى البشر عناصر منحطة .

* * *

وقد قام الحواريون بعد سيدنا عيسى بالدعوة لدينه ، وضحوا بما ضحوا ، وقاسوا فى سبيل ذلك ما قاسوا من تعذيب وتقتيل ، سواء أكان ذلك من اليهود أم من الوثنيين فى جميع أرجاء الأرض .

الإســـلام دين عالمى

والدين الإسلامى الذى يعتبر محمداً خاتم النبيين والمرسلين ، هو أيضاً دين عالمى بنص القرآن إذ يقول « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا[1] » .

ويعتبر الإنسان أرقى مخلوقات الله خلقه فى أحسن تقويم ، وكرمه تكريماً « ولقد كرمنا بنى آدم[2] » .

وقرر المساواة بين الناس أجمعين ، فلا تفاضل بينهم إلا بالعمل الصالح « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم[3] » .

وأكد الرسول هذه المساواة بأحاديث كثيرة ، منها قوله فى خطبة حجة الوداع :

« أيها الناس .. إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى ،

(١) سورة سبأ .
(٢) سورة الاسراء . (٣) سورة الحجرات .

ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض — فضل ، إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

من هذا وغيره من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، يفهم أن الإسلام دين عالمي ، وأن الناس سواسية فلا تفاوت بين العناصر ، ولا تفاضل بين الأفراد ، فلا غدر ولا ظلم ولا كراهية . ويجب أن يسود العدل بين البشر . فالناس جميعاً من أب واحد هو آدم ، لا إبراهيم ولا إسماعيل ولا إسحاق ولا يعقوب ، وإن أكرمهم عند الله أتقاهم .

وقد سعى النبي عليه السلام إلى تنقية النفوس وتطهيرها من الرجس ، حتى لا تصدر أعمال المرء عن هوى جامح ، أو رغبة أثيمة .

وإذا تصفحت القرآن الكريم ترى فيه آيات بينات تدل على ما يجب أن يكون عليه الانسان من طهر وعفة وشهامة ، وخير للناس جميعاً .

* * *

وعلى هذه الأسس قام النبي عليه السلام بالدعوة إلى دينه بين أهل الكتاب وعباد الأصنام ، يدعوهم إلى طاعة الله والأخاء والحرية والمساواة ، ويجادلهم بالحسنى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن[1] » .

(١) سورة العنكبوت .

بغير ما عنف ولا إكراه . ثم قام من بعده صحابته ، ينشرون الدين على هذا النحو فى جميع الأرجاء .

* * *

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن الاسلام ظهر فى مكة المكرمة فى أوائل القرن السابع الميلادى . وكان النفوذ فيها لقريش الوثنية ، صاحبة الثروة والجاه ، والتى تنفرد بخدمة الكعبة التى بناها من قبل إبراهيم وابنه إسماعيل .

وكان الوثنيون فى الحجاز أهل قوة و بطش وجاهلية ، وكان لليهود مستعمرات صغيرة فى يثرب (المدينة) وخيبر المتقار بتين . وكان بعض المسيحيين يسكنون جهات أخرى أهمها نجران .

فلما أعلن النبى دعوته ، كان أهل قريش أشد أعدائه مقاومة و بطشا . ناصبوه العداء ، وآذوه هو وأتباعه ، و بطشوا بمن دخلوا فى دينه ، حتى فكر بعضهم فى الهجرة فراراً بدينهم وأرواحهم . فإلى أية جهة يفرون ؟ و إلى من يلجئون ؟ لقد صحت عزيمتهم على الهجرة إلى بلاد الحبشة ، وهى بلاد مسيحية يحكمها النجاشى ، لجأ إليه المسلمون وكان عددهم أحد عشر رجلا منهم جعفر بن أبى طالب ، وأربع نسوة .

كيف عامل المسيحيون النبي محمداً وصحبه

لجأ الصحابة الأحد عشر ومعهم نسوة أربع إلى النجاشي بإشارة من النبي محمد عليه السلام . وما أن استقروا هناك واطمأنوا ، حتى أرسلت قريش خلفهم برجلين من الوثنيين، يطلبان من النجاشي ردهم إلى بلادهم، زعماً منهما أن الأمن مستتب في الحجاز ، وأن هؤلاء اللاجئين كفروا بدين آبائهم وأجدادهم ، وأنهم فوق ذلك لا يؤمنون بدين النجاشي . فلم يكن من هذا المليك إلا أن حقق الأمر بنفسه ، فتلا عليه المسلمون سورة مريم ، وفيها يذكر القرآن أن عيسى عليه السلام رسول من عند الله ، وأن مريم العذراء حملت به دون أن يمسها بشر ، وأنه روح الله وكلمته ألقاها إليها . وفي السورة ما يأتي بنصه :

« فأجاءها المخاض إلى جـذع النخلة ، قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نَسياً منسياً . فناداها من تحتها ألا تحزني ، قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا وَهُزِّي إليك بجذع النخلة تُسَاقِطْ عليك رطباً جنيا ، فكلي واشربي وَقَرِّي عيناً فأما تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا . فأتت به قومها تحمله ، قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فَرِيًّا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سَوْءٍ وما كانت أمك بَغِيًّا ».

فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً . قال إنى عبد الله ، آتانىَ الكتاب ، وجعلنى نبياً ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وَبَرًّا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام على يوم وُلِدتُ ويوم أموت ويوم أُبعث حيا[1] » .

فلما سمع النجاشى والبطارقة هذا القول قال البطارقة : هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح . وقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . ورفض النجاشى تسليم اللاجئين إلى مندوبَىْ قريش ، بعد أن فهم أن المسلمين يعترفون بعيسى ، ويقرون النصرانية ، ويعبدون الله . فرجع المندوبان ، وبقى المهاجرون فى بلاد الحبشة . يكرم النجاشى مثواهم ، إلى أن بدا لهم الرجوع إلى وطنهم ظانين ألا خوف عليهم ، لكنهم رأوا بعد رجوعهم أن الاضطهاد ما زال قائماً . فهاجر ثانية إلى بلاد الحبشة ثمانون مسلماً ، ومعهم نساؤهم وأطفالهم ، وعاشوا فى أمن وتكريم إلى أن هاجر النبى إلى يثرب (المدينة) فلحقوا به هناك .

* * *

---

(١) سورة مريم .

كذلك لم ير المسلمون من نصارى الحجاز تآمراً أو خداعاً ، لأن هؤلاء عرفوا أن الإسلام سجل كرامة المسيح عليه السلام ، وقُدْسِيَّتَه هو وأمه البتول . وأن سيدنا عيسى وقد شهد التاريخ بتعذيب اليهود له حتى وصلوا به إلى الصلب قد أكرم القرآن شخصه ، ونزهه ، وحفظ ذاته المقدسة من أن يتعرض جسمه الطاهر للقتل والصلب فقال : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم »(١) . وأن الله تعالى بقدرته رفعه إليه ، وهذا أرقى ما يقال عن السيد المسيح .

ومما يدل أيضاً على حسن معاملة المسيحيين المسلمين الأوائل تصرف المقوقس عظيم القبط فى مصر مع وفد المسلمين الذين حملوا إليه دعوة النبى للدخول فى الإسلام . فقد أصغى المقوقس إلى طلبات الوفد وزوده بهدية إلى النبى منها السيدة مارية القبطية ، التى تزوج بها وأنجب منها إبراهيم .

وهذا يدل على أن معاملة المسيحيين المسلمين فى تلك الأوقات كانت معاملة نبل ، من رجال دين توحيد عالمى لرجال دين توحيد عالمى . ولم يكن فى الأمر عنصرية أو عنجهية ، بل كان هناك تفاهم بالحسنى ، ورغبة فى الوصول إلى الحق .

---

(١) سورة النساء .

كيف عامل اليهود النبي محمداً وصحبه

قلنا إن المسلمين يعترفون بدين عيسى وبدين موسى. ويعتبرون أتباعهما من أهل الكتاب. أما اليهود فلا يعترفون بدين عيسى، ولا بدين محمد، ويعتبرون أتباعهما من الكافرين أعداء الله. ولا يعتقدون إلا بصحة الموسوية وحدها، وأن بني إسرائيل هم شعب الله المختار. ونجم عن هذه العقيدة الراسخة في أذهانهم تصرفات مع نبي المسلمين وصحبه نجتزئ منها بما يأتي :

أولا : بعد أن أسلمت قبيلتا الأَوْس والْخَزْرَج وهما سكان يثرب (المدينة)، وهاجر النبي وصحابته إليها، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأصبح المسلمون فيها كتلة قوية متحابة ممتزجة، عز هذا على يهود يثرب وغاظهم تآلف المسلمين، فأوعز أحد اليهود واسمه (شاس بن قيس) إلى شاب يهودي أن يجلس بين الأوس والخزرج، وينشد ما قال بعضهم لبعض أيام الجاهلية، من تفاخر وتنابذ بالألقاب، ليثير بينهم العداء القديم. ففعل. فتنازع القوم، وتغاضبوا، وقالوا « السلاح السلاح ». فأدركهم رسول الله، وقال : أتداعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم. فعلموا أنها كيد

من اليهودى ، وألقوا السلاح واستغفروا ، وعانق بعضهم بعضاً . وفى هذا نزل القرآن الكريم بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين »[1] .

ثانياً : تكررت محاولات اليهود إثارة الفتن بين المسلمين فى المدينة . فاضطر هؤلاء إلى إجلاء اليهود عنها تباعاً ، حرصاً على الوحدة والدين ، لكن اليهود لم يسكتوا بعد جلائهم عن المدينة ، وذهب بعضهم إلى مكة ليثيروا ثائرة القرشيين الوثنيين ضد محمد وأصحابه . و وصل أمرهم إلى أن قالوا للقرشيين إن وثنية هؤلاء أفضل من دين محمد . مع العلم بأن دين محمد دين توحيد كدين موسى . و بهذه الخديعة تمكن اليهود من الاتفاق مع قريش للإيقاع بالمسلمين . وتحالفت قبيلة بنى النضير اليهودية مع قريش ، وتجمعوا آلافا عدة من قريش و بنى النضير وغيرهم . وذهبوا إلى المدينة ليضربوا المسلمين ضربة قاضية ، فكانت وقعة الخندق المعروفة ، وفيها حفر المسلمون خندقاً حول المدينة فعجزت الأحزاب عن غزوها ، وعسكرت خارجه . ولما طال أمد الحصار ، ولم تطق الأحزاب صبراً ، لجئوا إلى إغراء بنى قُرَيْظَة القبيلة اليهودية الباقية فى المدينة ، لتنقض عهدها الذى عقدته

---

(١) سورة آل عمران .

مع المسلمين . ففعلت ، ومنعت عن المسلمين المحاصَرين المدد والميرة . وقد انتهى الأمر بهزيمة الأحزاب ورجوعهم[١] . وقد ذكر القرآن الكريم هذه الغزوة فى الآيات « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً[٢] ... الخ » .

***

ها نحن أولاء قد ذكرنا طرفا من حسن معاملة المسيحيين للنبي محمد وأصحابه ، فى بدء ظهور الإسلام ، كما ذكرنا طرفا من معاملة اليهود له ، ونقضهم العهود مع المسلمين مما حمل هؤلاء على إجلائهم عن الجزيرة العربية اتقاءا لشرورهم . وقد أثبتَ القرآن هذه الحقيقة بقوله « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون[٣] » .

---

(١) كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل وكتب السيرة .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة المائدة .

تلك حقيقة رسخت فى أذهان المسلمين ، ودليـل على كراهية اليهود لهم .

ومن الأدلة على كراهية اليهود للمسيحيين ، أن عظيم بيت المقدس عندما سلم المدينة إلى عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء ، شرط عليه ألا يسمح لليهود بالبقاء فى بيت المقدس وفى فلسطين . وذلك ثابت فى العهد الذى وقعه خليفة المسلمين إلى صُوفرينوس بطريرك القدس . وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا (أورشليم) من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم . ولكنائسهم وصلبانهم . وسقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم . ولا ينتقص منها ولا من حَيِّزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار أحد منهم . ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل

إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله . وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية » .

ولقد بلغ عطف المسلمين على المسيحيين أن عمر عندما دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة هم بالخروج ليؤدي الصلاة خارجها . ولما قال له البطريرك : إن دين المسلمين لا يمنع الصلاة في الكنيسة . أجابه عمر : إنه يخشى إن صلى فيها أن يعتقد الجهال من المسلمين أنها أصبحت مسجداً . ثم غادرها ، وأدى الصلاة خارجها .

فهل للمسيحيين والمسلمين أن يدركوا ما كان عليه آباؤهم الأولون من تعاطف وحسن تفاهم ؟ وأن اليهودية — كما يفهمها اليهود لا كما نفهمها نحن — عدوة الفريقين تتربص بهما الدوائر . وأن المسيحية والإسلام لا يعترفان بعنصرية وأن التفاوت بين بنى البشر يرتبط بالتفاوت فى الفضيلة والتقوى .

أسباب تماسك اليهود

ثبت لنا مما أسلفنا ومما سنذكره، أن اليهود يعتبرون المسيحية عدوهم الأول والأكبر، وأن الإسلام عدوهم الثانى. تبعاً لتاريخ ظهور الدينين. وزاد فى عدائهم أنهم أصبحوا قلة ضئيلة أمام الدينين العالميين اللذين انتشرا فى الشرق والغرب، مع أنهم شعب الله المختار كما يعتقدون. فتولد فى نفوسهم كثير من الغيرة والحسد. وقويت عندهم الرغبة فى الوصول إلى القوة والنفوذ، رغم قلة عددهم، بسبب تمسكهم بعنصريتهم ورغبتهم فى انفراد بنى إسرائيل باليهودية. ونبذهم فكرة اشتراك بنى آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل فى شرف عنصرهم.

ولا يمكن لمثل هذه القلة المترفعة إلا أن تكون ضعيفة، ولا سبيل إلى اكتسابها القوة إلا بالمال. لهذا تركزت أعمالهم أول أمرهم فى اقتناء الذهب والفضة. فهم فى مصر أيام الفراعنة غنموا مالا كثيراً، وخرجوا منها مزودين بالذهب والفضة، حتى أنهم حين عصوا موسى وارتدوا إلى الوثنية فى التيه أقاموا لأنفسهم عجلا من الذهب يعبدونه، وعندما أُخرجوا من فلسطين، وتشتت شملهم، وتوطن فريق منهم بلاد العرب وخاصة يثرب

وخيبر أيام الجاهلية كانوا من أبرع سكانها فى صياغة الذهب والفضة ، ومزاولة الربا ، كما يروى التاريخ . وبهذا كان لهم نفوذ وأى نفوذ . وكذلك الذين انتشروا منهم فى ربوع أوربا وآسيا وإفريقية كان ديدنهم التماس القوة بجمع المال ، عن طريق مزاولة التجارة والصياغة والربا . ولم يفكر اليهود كثيراً فى احتراف الزراعة ، لأنها تحتاج إلى بذل جهد كبير ، وتخضع لتقلبات الطبيعة . ولأن القلة تخشى على نفسها إن هى اختلطت فى الزراعة مع الكثرة التى تخالفها فى الدين . ولأن مزاولة الصياغة والتجارة والربا أجدى عليهم من الزراعة ، وتتيح لهم السكن فى المدن تحت حماية رجال الشرطة ، فكانوا يتجمعون فى أحياء خاصة ، ويزاولون أعمالهم آمنين .

كل هذا كان مدعاة إلى تضامن بين اليهود ، ويقظة وبصيرة وحيل تقتضيها مزاولة التجارة ، وتستلزمها أعمال الربا ، وما يدعو إليه كل ذلك من مرونة ووداعة وحذر ، ودقة ، أصبحت فى دم اليهود خصالا متوارثة ، لا يدانيهم فيها سواهم .

ثم إن وفرة المال فى أيديهم ، وشدة الرغبة فى تحسين مركزهم ، وتجمعهم فى المدن ، كل أولئك سهل عليهم التعلم . ولا يخفى ما للعلم من قوة . فأقبلوا على المدارس والمعاهد ، لينتفعوا بتحصيل العلوم والفنون بجانب

ما يرثونه عن آبائهم من نشاط ويقظة فى أعمال التجارة والمال . فكان لهم من هذا المزيج قدرة خاصة ، أوجدت فيهم حاسة سادسة يدركون بها الضمانات التى تؤمن حاضرهم ومستقبلهم وتحفظ لهم المركز الاجتماعى والمالى اللائق بنشاطهم ، وهم بين شعوب كثيفة تختلف عنهم فى الدين والمسلك .

اليهود أمام العالم

ظاهرة غريبة قد توجب الحيرة . وهى أنه كيف اتفق كثير من الناس فى المشرق والمغرب على عدم الاطمئنان إلى اليهود وعلى الحذر منهم .

قد يرجع اليهود ذلك إلى اختلاف الأديان ، وإلى الغيرة والحسد بسبب تفوقهم المالى ونشاطهم الملحوظ . أما غير اليهود فيرجعونه إلى قسوة هؤلاء فى مزاولة الربا والأعمال المالية مع غير بنى جنسهم ، وإلى انحراف الكثيرين منهم عن الفضيلة التى يجب أن يلتزمها الناس ، انحرافاً تبدو آثاره واضحة فى الأمور التجارية والاجتماعية ، بوسائل يصفها بعضهم بالخديعة والنفاق والرياء مما لا نريد بسطه هنا .

ولقد رأيت مما سبق أن بنى إسرائيل عند ما وفدوا على مصر ، وانضموا إلى سيدنا يوسف كانوا لاجئين ، موادعين ، يلتمسون الرزق ، ويزاولون التجارة وقد آواهم الفراعنة ، وأكرموا مثواهم وأفسحوا لهم مجال العمل فى مصر ، رغم الاختلاف فى الدين . وأوضح دليل على ذلك أن أصبح يوسف عليه السلام أميناً على خزائن مصر . وتلك وظيفة تعادل فى أيامنا وظيفة وزير المالية ووزير التموين .

لكن اليهود ما لبثوا بعد أن أثروا وكثر عديدهم أن تغيرت أحوالهم

وخيف من نفوذهم ، فانقلب المصريون عليهم واضطهدوهم واستذلوهم ، حتى اضطروا إلى الهجرة ومعهم أموالهم التى لم يجردهم المصريون منها . و بعد أن أقاموا فى التيه أربعين عاماً ، تسلطت عليهم فكرة الفتح والغزو بأقسى أنواعهما، تنفيذاً لأوامر التوراة التى سبق تسطير بعضها . ومنها الأمر الدينى بالهجوم العنيف على « أريحا » ، وتقتيل الرجال والنساء والأطفال ونهب الأموال .

و بعد أن استتب لهم الأمر فى أرض كنعان غضب عليهم ملوك الأشوريين والبابليين والرومان ، وثنيين كانوا أو مسيحيين ، فكيف اختص هؤلاء الملوك بنى إسرائيل بالعسف والتشريد دون باقى رعاياهم ؟ وكيف استمر اليهود فى الشغب والعنف ، حتى انتهوا إلى أن استلموا السيد المسيح الإسرائيلى المولد والنشأة ، وفعلوا به ما شاءوا من ضروب القسوة والانتقام ، لأنه أراد تصحيح عقيدتهم ، فعذبوه وصلبوه كما يقرر الإنجيل أو شُبِّهَ لهم بعد رفعه إلى السماء كما يقرر القرآن .

والذين هاجروا من اليهود إلى الجزيرة العربية ، كان مسلكهم مع النبىّ محمد عليه السلام وصحبه غير كريم ، فإنهم أسرفوا فى الدس والوقيعة ونقض العهود ، وتواطأوا على اغتياله والقضاء على دينه ، وهو دين توحيد كدينهم . بل إنهم تحالفوا مع الوثنيين من عرب الجزيرة على قتال

المسلمين وإبادتهم ، مفضلين عبادة الأوثان على الإسلام ، وحاصروا المسلمين فى المدينة فى غزوة الخندق بجموعهم وأحزابهم التى جمعت بين الوثنيين واليهود ، ومن هؤلاء قبائل بنى قَيْنُقَاع ، و بنى النَّضِير ، و بنى قُرَيظة كما سبق القول . بل إن اليهود — كما يروى التاريخ — قد افتروا على النبى أحاديث لم يقلها ، وشحنوا بها بعض الكتب حتى خاف المسلمون على أحاديث النبى أن يشوبها تشويه وتلفيق ، فعمد الفقهاء إلى التثبت من الصحيح منها بعد عناء شديد ، وتبلبلت أفكار المحدثين والأئمة بسبب تلك « الإسرائيليات » التى لم يفكر المسيحيون فى ارتكاب مثلها .

والذى شجع اليهود على هذا الدَّس ، أن الأحاديث النبوية جُمعت بعد وفاة النبى برويات الصحابة وتابعيهم . وأكاد أجزم أن القرآن نفسه لو لم يكن مسجلاً بجانب حفظه فى الصدور ، وثابتاً بالإجماع لأقدم اليهود على دس آيات فيه غريبة عنه ، ولأفسدوا على المسلمين عقيدتهم . لكن الله قد حفظها وأنزل فى كتابه الكريم : إنَّا نحنُ نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون (١)

* * *

أما فى أوربا فإن اليهود لم يرجعوا فيها عما رسموه لأنفسهم نحو المسيحيين ،

---

(١) سورة الحجر .

فلقد تغلغلوا فى تلك البلاد ووصلوا إلى أرقى المناصب ، وجمعوا المال الكثير من التجارة والبيوت المالية ، وزاحموا الأوربيين فى أرزاقهم ، وتدخلوا فى السياسة لأغراض خاصة فى نفوسهم ، وتنفيذاً لبرامج وضعوها واتفقوا عليها . ولما ضاق الأوربيون بهم ذرعا ، قسوا عليهم وطاردوهم ، وتوالت عليهم أنواع التعذيب ، ومصادرة الأموال فى بعض بلاد أوربا ، حتى اضطروا إلى الهجرة تباعاً ، ومازال صدى اضطهادهم فى روسيا و بولندا ورومانيا وألمانيا وغيرها يرن فى الآذان . ولم يرجع اليهود إلى البلاد التى هاجروا منها إلا بعد أن ظهر التسامح فى العصور الأخيرة ، وأعفوا من القيود التى كانوا يرسفون فيها ، كتحريم امتلاكهم العقار ، ومزاولتهم الزراعة أو الصناعة ، وكانت هذه القيود عامة فى إيطاليا وفرنسا و بولندا ورومانيا وانجلترا وأمريكا وغيرها .

ويلاحظ أن اليهود لم يعتقوا فى فرنسا رسميا إلا فى سنة ١٧٩٠ ، وفى إيطاليا إلا فى سنة ١٨٧٠ ، وفى ألمانيا إلا فى سنة ١٨٧١ ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية إلا فى سنة ١٨٨٧ ، وكانت انجلترا أبطأ الحكومات فى إصدار تشريع بالمساواة التامة بين اليهود وسائر المواطنين ، إلى أن كان آخر مظهر لهم من مظاهر الحرية فى سنة ١٨٩٠ وما زال

القوم هناك يكرهونهم ويخشونهم إلى الآن . كما نلاحظ الحملات العنيفة التي حملها موسوليني وهتلر على اليهود في هذا القرن ، وخاصة حملات « هتلر » وما ذكره من أسباب لها في كتابه « كفاحي » وغيره .

ولا نريد أن نرجع إلى الوراء ونذكر أن اليهود لاقوا في أسبانيا مثلا أيام محاكم التفتيش ألواناً من الاضطهاد والأذى والتقتيل ، إلى أن أصدرت أمرها في سنة ١٤٦٢ بطرد الباقي منهم .

وإنصافاً للحقيقة نقرر أن شيئاً من هذا لم يحدث لليهود في بلاد العرب والمسلمين . بل إن هذه البلاد كانت مأوى وملاذاً لهم ، يلجئون إليها إذا ضاقت بهم بلاد أخرى ، فقد لجئوا بعد محنتهم في أسبانيا إلى تركيا ، وخاصة مقدونيا ، كما لجئوا إلى البلاد العربية ، ولم يلقوا في جميع بلاد المسلمين شيئا من الاضطهاد الإجماعي الذي حلّ بهم في البلاد الأخرى ، تلك التي ظهرت بها جماعات كثيرة ، تدعو إلى محاربة اليهود ، وتنادي بأنهم شعب خطر عليهم وعلى الإنسانية ، وتعتبرهم فئة أصبحت بقوة الذهب ذات نفوذ كبير وتضامن خطير ، سوّلت لها نفسها أن تؤذي البلاد التي تؤويهم في شئونها الاقتصادية والمالية والاجتماعية ، بل وفي شئونها السياسية والوطنية ، فضلا عن اختلافها في الدين والعادات والتقاليد .

هل يفكر المسيحيون والمسلمون فى إنقاذ أنفسهم؟

عرفنا مما سبق أن اليهود خاصموا سيدنا عيسى وطاردوه ، وارتكبوا معه من البشاعات الشيء الكثير . وقام الحواريون من بعده بنشر دعوته ، واعتنقت المسيحية أمم كثيرة ، فلا غرابة أن يحقد اليهود على هذا الدين الذى أصبح عالميا . ثم ظهر الإسلام وانتشر فكان العدو الثانى . فلما خرب الاستعمار البلاد الإسلامية وقضى على ثقافتها وازدهارها واستقلالها ، وقام الغرب المسيحى بنهضته المعروفة رجع حسد اليهود بأقوى درجاته إلى عدوهم الأول وهو المسيحية . وقاسى المسيحيون منهم ماقاسوا ، من أعمال مست إقتصاديات بلادهم وطمأنينتها وسياستها ، فبطشوا باليهود وأزاحوهم عن مجتمعاتهم ، وطردوا الكثير منهم . فكان لابد لليهود من أن يجعلوا هدفهم الأول حماية أنفسهم بضم صفوفهم ، واكتناز الذهب والفضة ، والانتقام من المسيحية بتشكيلات سرية خطيرة . وبعد أن ينتهوا من عدوهم الأول يسهل عليهم السيطرة على المسلمين الذين حرموا أخيرا من القوة والعلم والتضامن .

فهل لنا أن نرجو أن يفهم المسيحيون هذه الحقائق ؟ وأن يتعاونوا مع

المسلمين لدرء هذا الخطر المشترك . فان المسيحيين إن لم يدركوا هذه الحقائق، ويصونوا أنفسهم ، ويتعاونوا مع المسلمين معاونة الصديق للصديق ، والند للند ، فسينزل بهم اليهود — بفضل نشاطهم وتشكيلاتهم ، وثرائهم وتضامنهم وأحقادهم — الشر المستطير .

ولقد أزاح كثير من المسيحيين الستار عن نوايا اليهود نحوهم ، وطالبوا ولاة أمورهم باليقظة ، وأبانوا لهم الخطر اليهودى المحدق بشعوبهم .

ونحن نورد هنا — فوق ماقلنا — بعض الأساليب الصهيونية حتى يدرك الغافلون مآلهم إذا ظلوا سادرين فى غفلتهم .

الماســـونية اليهودية

إن اليهود لاعتقادهم بسمو عنصرهم وسمو دينهم ، واحتقارهم لأى دين آخر ، وإنكارهم لدين عيسى ودين محمد ، وعلمهم أن المسيحيين هم الذين أجلوهم قديماً عن فلسطين ، واستذلوهم بعد ذلك فى بقاع الأرض التى يسيطرون عليها ، أرادوا أن يضمنوا لأنفسهم المكانة اللائقة بثرائهم ونشاطهم ، وينفذوا تعاليم التوراة التى ذكرنا طرفا منها ، والتى تنص كذلك على وجوب تأديب الشعوب وإخضاعها والانتقام منها ، كما جاء فى المزمور ١٤٩ .

« . . . . ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم . ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب . . . . » .

ولأن دينهم — كما أوضحنا — يحضهم على امتلاك البقاع من الفرات إلى النيل ، ولأنهم قلة مشتتون فى الأرض . رأوا تكوين هيئة سرية عالمية ، تعمل دائبة لتحقيق أغراضهم . وقد نجحوا فعلا فى إقامة الماسونية

تحت ستار خلاب هو « الأخاء الانسانى » لا الدينى ولا الوطنى ، يهدفون من ورائها إلى محو العقيدة الدينية وهدم الشعور الوطنى .

فالماسونية تقضى على العقائد الدينية ، بادعائها أن الأديان سبب تأخر الأمم . وقد وصلت بمساعيها إلى بذر بذور الالحاد فى روسيا ، حتى قامت حكومتها تقول : إن الأديان أفيون الشعوب ، ومعطلة لنهضاتها . ونفذت تلك التجربة فى روسيا فقامت فيها ثورة سنة ١٩١٧ الدامية ، وكان للصهيونية فيها أقوى الأثر مما يذكره التاريخ .

والماسونية تسعى أيضاً إلى هدم الشعور الوطنى باعتباره منافيا للشعور الانسانى فى زعمهم . ومتى تم ترويض الضعفاء من المسيحيين والمسلمين على هذا المذهب — مذهب الانسانية كما يقولون — بعيدا عن الدين والوطنية فقد بلغت الماسونية غايتها . والأيام تشعرنا بتغلغل المذهب اللادينى واللاوطنى ، فى أمم لم تفهم ما ترمى إليه الصهيونية .

وقد جعلوا للماسونية مراتب ثلاثا :

أولها — « الماسونية الكونية » وهى أرقاها ، وأعضاؤها من اليهود الخلص ، يدعون بالحكماء ، ويرأسهم الحكيم الأعظم ، وهى مصدر السلطات لجميع المحافل الماسونية ، ولا يعرف أحد أعضاءها أو مركز نشاطها.

وثانيتها — « الماسونية الملوكية » المعروفة « بالعقد الملوكى » وأغلب أعضائها من اليهود ، ويطلق عليهم الرفقاء . ولا يسمح لغير اليهود بالانتساب اليها ، إلا لمن ثبت إخلاصه فى عضوية الماسونية الرمزية ، وحاز فيها الدرجة ٣٣ لخدمات أداها .

وثالثتها — « الماسونية الرمزية » ، ويدخلون فيها معهم من يقع فى شباكهم من اتباع الديانات الأخرى ، ويبقى فيها خاضعاً مخلصاً لا يعرف شيئاً من أعمالها وأهدافها ، سوى قيامه بطقوس وحركات لا يفهم مغزاها ، وقانعا بألفاظ الأخاء الانسانى والحرية ، متوهماً أن هدف الماسون خدمة الانسانية .

وجميع طقوس هذه الماسونية ، ورموزها ، وألبستها ، وأوشحتها ، وأوسمتها — يهودية بحتة مأخوذة عن مراسم وشعائر يهودية .

وتتخذ الماسونية أعضاءها من غير اليهود مطايا لبلوغ مآربها فى مصالح الحكومات والشركات ، وجميع المؤسسات والهيئات ، تحت مظهر الإخاء المزعوم .

تلك هى الأحبولة الكبرى التى وقع فى شراكها كثير من المسيحيين والمسلمين ، فى جميع بقاع الأرض ، ومنهم ملوك وأمراء ووزراء وساسة ،

وعلماء ورجال أعمال، ووجهاء وموظفون ، فالمسيحى أو المسلم يدخل الماسونية وأغراضها الظاهرة إنسانية بحتة ، فلا يراجع نفسه : لم تكون هذه الهيئة سرية ؟ ولم يكون عمل الخير سريًّا ؟ ولِمَ الرموز والأوسمة والدرجات ؟ . ثم يروِّض هذا الدخيل ، حتى إذا فسدت عقيدته الدينية والوطنية وأصبح مطية طيعة للماسون رفعوه إلى درجات عالية، وأغدقوا عليه الأوسمة والألقاب، إلى أن يحوز الدرجة ٣٣ ولا يتعداها ، ثم يسعون فى رفع شأنه فى المجتمع، و يعملون له الدعاية ، حتى ينال مركزاً فى حكومته و يوجهونه وأمثاله من الأذلة العظماء إلى ما فيه مصلحة الصهيونية . وينجم عن هذا تنفيذ مآرب يهودية خطيرة فى إدارات الحكومات وسياساتها ، وانفساح المجال للتجسس اليهودى ، و إثارة الفتن والحروب .

فالماسونية إذن تهدم الشعور الدينى والوطنى فى المسيحيين والمسلمين ، وهؤلاء المساكين لا يعلمون أن الشعور الدينى والعنصرى عند اليهود أقوى شعور وأشده ، وهو ليس شعور دفاع عن كيانهم فحسب ، و إنما هو شعور يرمى إلى إذلال الأمم المسيحية والإسلامية ، وتفكيك الأواصر بين بنيها وهى تتخذ فى كل أمة وسائل تتفق وعقليتها ووضعها الاجتماعى

والاقتصادى والثقافى ، ولا ترمى مع اختلاف الأساليب إلا إلى غاية واحدة هى كما قلنا : تحطيم من عداهم من « الجوييم » .

ولا يمكن تحديد تاريخ قيام الماسونية تحديداً قاطعاً ، لكن المؤكد أنها قامت من زمن بعيد ، وأن أغراضها كانت أولا ولا تزال ضد المسيحيين أولا ثم ضد العالم أجمع ، ذلك بأن اليهود يهدفون إلى تقويض النظم القائمة ، و إقامة دكتاتورية يهودية عالمية .

ولقد فطن بعض رجال الدين المسيحى ورجال السياسة إلى أمور أثارت دهشتهم ، وطبعت فى نفوسهم فكرة قيام جمعيات سرية لأغراض هدامة .

من ذلك ما كتبه الكاردينال « كونسالفى » وزير خارجية قداسة البابا « بيوس » السابع من الفاتيكان إلى الأمير « مترنيخ » الوزير الأول للدولة النمسا فى ٤ يناير سنة ١٨١٨ ، إذ يقول :

« ليست الأمور على ما يرام فى أى مكان ، و إنى أرى يا عزيزى الأمير أننا أصبحنا نعتقد أننا فى حل من اتخاذ أبسط الاحتياطات ، و إنى هنا أحذر كل يوم سفراء أوربا من الأخطار المقبلة التى تدبرها الجمعيات

السرّية ضد النظام الذى أعهد بصعوبة إلى سيرته الأولى ، و إنى ألاحظ أن السفراء يقابلون تحذيراتى بعدم الاكتراث ، وراحوا يتصوّرون أن الكرسي البابوي سرعان ما ينتابه الخوف ، مستخفين بنصائحنا التي توحى بها الحيطة » .

وأضاف الكردينال : « إنى إذ أتوجه إلى الدول العظمى إنما أتجرد تماماً من أية منفعة شخصية ، و إنى أنظر إلى المسألة من ناحية أسمى ، وانه لمن الخطل عدم التفكير في هذه المسألة من الآن ، لأنها لم تصبح بعد — إن صح القول — ماسكا للرأي العام (كان ذلك عام ١٨١٨) وسيندم لعدم مواجهتها بحزم بعد فوات الفرصة »[1] .

ونقرن هذه الشبهات ضد الجمعيات السرّية الهدامة بما جاء في خطاب الرباني « ريشهورن » في براج عام ١٨٥٩ أمام قبر أحد كبار الربانيين « سيمون بن يهودا » إذ قال :

« لندفع بالمسيحيين إلى الحرب ... ... إذ بالذهب والملق سنكسب إلى صفنا العمال ، وهم الذين سيطيحون بالرأسمالية المارقة . وإننا سنعد العمال

(١) راجع رسالة « بدائيات » بالفرنسية للسيدة ماريا كريستينيا جوستينياني باندينى طبعة روما سنة ١٩٥١

بأجور لم يحلموا بها قط . ولكننا سنرفع كذلك أسعار الحاجيات . و بهذه الطريقة سنعد العدة للثورات التى يقوم بها « الكفار » أنفسهم ، والتى سنجنى ثمارها . وعند الساعة المحددة مقدما سنضرم الثورة التى بقضائها على كافة الطبقات المسيحية سنضع المسيحيين تحت إمرتنا[1] » .

ونضيف أن « أدولف كريمييه » رئيس التحالف الإسرائيلى العالمى كتب فى مجلة « أرشيف إسرائيلية » عدد ٢٥ سنة ١٨٦١ قائلا : « لا بد للوطنيات من الاندثار ... ... أما إسرائيل فلا يجب أن تختفى » .

كما نضيف أن اليهودى « رينيه جرو » اعترف فى مجلة « نوفومير كير » عدد مايو سنة ١٩٢٧ بأنه « توجد مؤامرة يهودية ضد جميع الأمم » .

* * *

و بمقارنة هذه التصريحات بعضها ببعض و بكثير غيرها، مما يضيق المقام عن سرده ، رأى بعض المشتغلين بالسياسة العالمية أن هناك ارتباطا وثيقا بين أعمال الماسونية العالمية ، و بين الثورات المتعاقبة التى قامت فى فرنسا فى مارس سنة ١٨٤٨ ثم اتسع نطاقها مع توالى السنين ، فقامت فى فرنسا

---

(١) من خطاب أبلغه اليهودى « لاسال » ونشره السير «جون ريدكليف » فى مجلة كنتمبوران فى أول يوليو سنة ١٩٠٣ .

ثورة سنة ١٨٧١ ، وفى البرتغال سنة ١٩٠٥ ، وفى تركيا سنة ١٩٠٥ ، وفى الصين سنة ١٩١١ ، وفى روسيا سنة ١٩١٧ ، وفى المجر وألمانيا سنة ١٩١٨ ، وفى إسبانيا سنة ١٩٣٦ .

وقد اشتدت الحال ، وتفاقمت الدسائس إلى أن أوصلت العالم إلى الحرب العالمية الأولى ، ثم إلى الحرب العالميه الثانية. وليست تلك المصائب سوى سلسلة تدبيرات جهنمية، ترجع فى أصولها إلى ينبوع واحد، وتهدف إلى غرض واحد ، هو إلقاء العالم فى جحيم مستعر يقضى عليه ، ويقوم على أنقاضه نظام تهدف إليه الماسونية اليهودية ، بقيام دولة عالمية صهيونية، أساسها الذهب والفتن والاضطرابات .

وكتب الدكتور لويس أرنست وهو من أكثر يهود فينا اعتدالا :

« واليهود إذا ما أحسنوا ولو قليلا البقاء متحدين أصبحوا من القوة بحيث لا يمكن لأحد أن يحول دون تخريبهم الدول وشل التجارة، ووقف جميع الأعمال . ولما كانوا منتشرين على وجه الأرض ففى وسعهم أن ينزعوا الثقة من أية دولة بحيث تعرقل دواماً عن المضى فى عملها[1] » .

لهذا كله صدر مرسوم بابوى رقم ٦٨٤ بتحذير الكاثوليك من

---

(١) راجع رسالة بدائيات سابقة الذكر .

الاشتراك فى الهيئات السرية ، والمحرمة ، والمشبوه فيها . وهذا يتناول الماسونية طبعاً .

فهل لى بعد ذلك أن أطالب الحكومات العربية والإسلامية بتحريم الماسونية، وما تفرع منها تحريماً باتاً ، كما فعل قداسة البابا وسطرناه هنا، صيانة للعقائد والشعوب .

أندية الروتارى

لم يكتف اليهود بالماسونية السرية ، رغم أنها تتشكل فى البلدان بأشكال مختلفة، تبعاً لطبائع كل بلد ونظمه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية"، بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصلة عنها ، تؤدى بعض مهامها تحت ستار الأخاء الانسانى أيضاً ، وسموها «أندية الروتارى» . وتنعقد هذه الأندية فى العواصم والمدن الكبرى . والغرض الظاهرى منها هو النظر فى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء المحاضرات والخطب ، والعمل على التقارب والتعارف بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة . أما الغرض الحقيقى منها فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى ، فيكون الأخاء والود ، و ينمحى بذلك سوء التفاهم الدينى والعنصرى عند غير اليهود . وبذلك يصلون إلى جمع المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق أغراضهم ، اقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية . وتلك مهمة غاية فى الدقة والبراعة .

ولقد فطن الفاتيكان إلى خطر هذه الأندية كما فطن من قبل إلى خطر الماسونية . فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس بتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ قرر فيه الكرادلة « دفاعاً عن العقيدة وعن الفضيلة عدم

السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى ، وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها ، وأن غير رجال الدين مطالبون بمراعاة المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية والمحرمة والمشتبه فيها » .

قرارات حكماء صهيون

بعد أن اتسعت أعمال الماسونية ، وكثرت فروعها ، وتعددت محافلها فى كثير من أنحاء الأرض . وتسلل اليهود إلى إدارات الحكومات والمؤسسات المالية والتجارية ، وارتفع بعضهم إلى مناصب الوزارة فى كثير من الدول ، ضجت منهم الأمم الأوربية وخاصة الشرقية منها كروسيا وبولندا ورومانيا ، فظهرت حركة عداء ومطاردة لهم ، تصحبها أحياناً مصادرات لأموالهم ، حتى اضطر كثير منهم إلى النزوح عن تلك البلاد ، وأخذوا يبثون شكاواهم مما لاقوه من عسف وجور ، مستعينين فى ذلك بصحفهم ونشراتهم وإخوانهم ، وبالمحافل الماسونية المنبثة فى الأرض وفيها كثير من المسيحيين والمسلمين . ثم عقدوا مؤتمراً عاماً لهم فى مدينة (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة الصحفى النمساوى « تيودور هرتزل » الزعيم اليهودى ، باعث الصهيونية الحديثة ، والذى له أكبر الأثر فى جمع كلمة اليهود حول فكرة إقامة وطن يهودى له كيانه واستقلاله .

وغاية الصهيونية الرجوع إلى (أورشليم) عاصمة ملك سليمان والاستيلاء عليها ، وإقامة مملكة لليهود تمتد من الفرات إلى النيل كما ذكر في التوراة. والصهيونية مشتقة من كلمة صهيون ، وهو تل من تلال أورشليم . وتطلق على أورشليم نفسها من قبيل إطلاق البعض على الكل . واليهود يقدسونه ويترنمون بذكره في مزاميرهم . ومنها ما جاء في المزمور ٨٧ ونصه :

« ... الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب . قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله ... » .

وفي مؤتمر « بال » المذكور اجتمع أعضاء من يهود العالم ، وشرحوا الوسائل التي يصونون بها أنفسهم ، ويستعيدون بها مجدهم ودولتهم . ودوّنت محاضر جلساتهم ، وحفظت مع تقارير حكمائهم — التي لا يعرف من وضعها ولا متى وضعت ، كما لا يعرف إن كانت وضعت في وقت واحد، أو في أوقات متفرقة — إنما الذي يهمنا أن هذه التقارير أصبحت دستورا مقدساً لدى اليهود جميعا يعملون بوحيه ، ويسيرون على منهاجه .

ويحتفظ اليهود بتقارير حكمائهم هذه في مخابئ سرّية لا يعرفها غير الخاصة من زعمائهم . وقد عثرت سيدة مسيحية على نسخة من هذه التقارير وصلت إلى الكاتب الروسي الكبير « سرجيوس نيلوس » سنة ١٩٠١ .

وفى السنة نفسها أعلن « تيودور هرتزل » زعيم الصهيونية فيما أذاعه من منشورات إلى الصهيونيين من قبل لجنة العمل الصهيونى أنه رغم ما بذله من توصيات قد افتضح لسوء الحظ أمر بعض تلك القرارات السرية ونشرت فى غير وقتها .

ظهرت أول نسخة من هذه القرارات (البروتوكولات) مطبوعة باللغة الروسية سنة ١٩٠٢ ، ثم ترجمت إلى كثير من اللغات الأخرى ، فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وغيرها ، فأخذ اليهود يتنصلون من تبعاتها لما أحدثته من أثر عميق فى الناس . وتحوى هذه القرارات (البروتوكولات) أربعة وعشرين فصلا ، يمكن الرجوع إلى نصوصها كاملة فى كتب نشرت بلغات مختلفة[1] ، كما جاء ملخص هذه القرارات فى بعض الكتب[2] .

ومما يثير الدهشة أن حكماء صهيون لم يكتفوا فى قراراتهم بالنص على أخذ فلسطين ، ولا على فرض سلطانهم من الفرات إلى النيل ؛ بل نصت قراراتهم على وجوب تحطيم العالم بوسائل شرحوها ، حتى يتسنى للصهيونيين

(١) كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جراسيه .
كتاب الخطر اليهودى بالعربية للسيد خليفة التونسى
كتاب المؤامرة اليهودية على الشعوب بالعربية ترجمة الخورى أنطون يمين
(٢) كتاب الصهيونية والماسونية للسيد عبد الرحمن سامى عصمت .

السيطرة عليه ، وإقامة دكتاتورية يهودية تستعبد كل من فيه . وأول أهدافهم تقويض الدول المسيحية والقضاء على سلطان المسيحيين .

وهذه خلاصة تلك القرارات :

القرار الأوّل :

ينص على أن سياسة اليهود إزاء الجوييم (أى غير اليهود) يجب أن تقوم على العنف والإرهاب ، حتى يتمكن اليهود من حكم العالم ، وأن قوة القانون ماهى إلا القوة الوحشية مقنّعة ، وعليه فقانون الطبيعة أن الحق للقوة ، وأن الحرية السياسية ليست حقيقة وإنما هى فكرة ويجب أن يسخرها اليهود لاجتذاب العامة ، وأن أزمة الحكومة التى تخضع لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة تحل محل الحكومة التى أضعفتها التحررية ، وأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء بلا قائد . وأن فكرة الحرية لايمكن تحققها بعد أن طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين ، كما قد مضى الزمن الذى كانت فيه الديانة هى الحاكمة ، وأن السلطة اليهودية الماسونية لا تقهر ، وستقع الدول فى قبضة اليهود ، وسيمد الاستبداد المالى إلى الدول عوداً لامفر لها من التعلق به لإنقاذ نفسها .

ويحض هذا القرار على العمل لتكون الشعوب فى يد فرد يمكن به قيادتها ، وإزالة الأرستقراطية المسيحية الواهنة ، وإفساد نوّاب الأمم وحكامها ، والعمل على القضاء على سلام الأمم وتضامنها وطمأنينتها ، وتقويض دعائم حكوماتها . ويقرر أن نشر المشروبات الروحية والفحش من أسباب انحلال الحكومات القائمة ، وأن الحرية والإخاء والمساواة إن هى إلاّ ألفاظ جوفاء .

القرار الثانى :

يقرر أن الحروب الاقتصادية هى أساس السيادة اليهودية ، ويحض على وجوب وجود مستشارين يهود أكفياء بجانب الحكومات الظاهرة ، كما يحض على الترويج للمذاهب الهدامة وضرورة نجاحها . وينوّه بأهمية الصحافة ، وأهمية الذهب ، وقيمة الضحايا اليهود .

القرار الثالث :

يحض على بث الرعب فى قصور الحاكمين . والعمل للوصول إلى السلطة . ويلفت إلى أهمية توزيع النشرات ، والتسلط على أعضاء البرلمانات ، واستعباد الأمم اقتصاديا . ويحض على تكوين جيش ماسونى يهودى ،

ودفع المسيحيين إلى الانحلال ثم الجماعات ، والتمهيد لظهور وتتويج الحاكم العالمى اليهودى ، وينوه إلى أسس البرامج للمدارس الماسونية القومية فى المستقبل ، ويحض على السعى فى خلق الأزمات العامة مع تأمين اليهود ، والعمل على أن يكون استبداد الماسونية تحت سيطرة العقل ، ويتحدَّث عن العلاقة بين الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى ، ويذكر أن الملك المستبد إنما هو من دم صهيونى ، ويعدد الأسباب التى تحفظ قوة الماسونية ومهمة وكلاء الماسونية السرِّيين . ويتكلم عن الحرية وكيف تكون فى ظل الصهيونية .

القرار الرابع :

تكلم عن المراحل المختلفة للجمهورية . وعن الماسونية الظاهرة . وعن الحرية وطرق تحطيم عقيدة المسيحيين . وعن المزاحمة الدولية فى التجارة والصناعة . وعن أهمية المضاربات . وعن عبادة الذهب .

القرار الخامس :

تكلم عن كيفية تركيز سلطة الحكومة . وعن الوسائل التى بها تتحكم الماسونية فى العالم . وعن الأسباب التى تحول دون اتفاق

الحكومات . وعن حماية اليهود . وعن أن الذهب هو محرك الإدارة فى الحكومات . وعن احتكار التجارة و الصناعة . وعن أهمية حملات المعارضة والانتقاد . وعن الخلافات التى تولد المتاعب والوسائل التى تمكن من اكتساب الرأى العام . وعن الحكومة العليا اليهودية .

القرار السادس :

تكلم عن الاحتكار . وعن أن ثروة المسيحيين ناجمة عن الاحتكارات ، وعن ارستقراطية ملاك الأراضى . وأعاد الكلام عن التجارة والصناعة والمضاربات . وتكلم عن الترف وأسبابه وعن ارتفاع أجر العامل ، وارتفاع أثمان الحاجات الضرورية . وعن الفوضى والسكر . وعن الغايات السرية من الدعاية للنظريات الاقتصادية .

القرار السابع :

تناول الأسباب التى تدعو إلى زيادة التسلح . والعمل على إثارة الخواطر وخلق الاضطرابات ، وإثارة البغضاء فى العالم . والقضاء على مقاومة المسيحيين بإثارة الفتن بينهم و إشعال الحروب العامة . وذكر أن

كتمان السر بين اليهود هو ضمان النجاح فى السياسة اليهودية . وتكلم عن الصحافة والرأى العام ، وعن المدافع الأمريكية واليابانية والصينية .

القرار الثامن :

تكلم عن الموظفين والمساعدين فى النظام الماسونى المقبل . وعن الاقتصاديين والماليين . وكيفية الاختيار فى الوظائف العليا للحكومة اليهودية المقبلة .

القرار التاسع :

تكلم عن بث المبادىء الماسونية فى تعليم الأمم وعن دكتاتورية الماسون . وعن إشاعة الرعب بين الحكام والعامة . وعن الذين يخدمون الماسونية . وعن القوة العاقلة ، والقوة العمياء للدول المسيحية . وعن الحكم المطلق الحر . وعن السيطرة على التعليم والتربية . وعن تفسير القوانين .

القرار العاشر:

تكلم عن ضرورات السياسة وتعميم الانحطاط بين الأمم . وعن الانقلاب الدولى الماسونى المنتظر . وعن الانتخابات العامة . وعن أقطاب الماسونية ، وعن سموم الحرية الفردية . وعن أن الدستور هو أساس

تطاحن الأحزاب . وعن التاريخ الجمهوري . وعن أن رؤساء الجمهوريات هم صنائع الماسونية . وعن مسئولية رؤساء الجمهوريات . وعن استخدام الرؤساء ذوى الشهرة والضمير الملوث من غير اليهود ، ليكونوا منفذين لرغبات الماسونية . وعن العمل للانتقال بالعالم إلى الحكم الماسونى المطلق ، ووقت المناداة بالملك اليهودى العالمى .

القرار الحادى عشر :

تكلم عن برنامج الدستور الماسونى . وبعض تفصيلات عن الانقلاب المنتظر وقال عن المسيحيين : إنهم خراف . وتكلم عن الماسونية السرية ، وعن محافلها الظاهرة .

القرار الثانى عشر :

تكلم عما تقصده الماسونية من كلمة (حرية) . وأنها « هى حق عمل ما يبيحه القانون » . وعن مستقبل الصحافة فى الدولة الماسونية ومراقبتها وعن وكالات الأنباء وعن كيفية تقدم الماسونية . وعن تضامن الماسون فى الصحافة الحديثة . وعن عصمة النظام المقترح .

القرار الثالث عشر :

تكلم عن الحاجة إلى الخبز اليومى ، وأنها تكره غير اليهود على الخضوع والذلة . وعن الشؤون السياسية والصناعية . وعن الترفيه واللهو وشغل الناس بهما . وعن بيوت الشعب . وذكر أن الاحتياج إلى الخبز اليومى هو الذى يسكت المسيحيين ، ويجعلهم خداما الماسونية . وغير ذلك من أساليب الضغط والسيطرة .

القرار الرابع عشر :

تكلم عن ديانة المستقبل وقال « إننا متى وصلنا إلى الحكم فاننا لن نعترف بأى دين سوى دين إلهنا الأوحد الذى ارتبط به حظنا ، والذى يتقرر به حظ العالم ومصيره ، لهذا وجب علينا أن نمحو كل العقائد . وإذا كان هذا العمل يخلق الملحدين المعاصرين ، فإن هذه المرحلة المؤقتة لاتقف عقبة أمامنا ، بل ستكون مثلا للأجيال المقبلة ، التى ستستمع إلى تنبؤاتنا نحو ديانة موسى التى ستعم الشعوب كافة » .

القرار الخامس عشر :

تنبأ بانقلاب عالمي يوما ما ، وبحكومة حكماء اليهود المركزية . وبانتشار المحافل الماسونية وذكر أن الماسونية هي الموجهة لكافة الجمعيات السرية ، وأنها سلطة مطلقة. وتكلم عن الذهب العالمي، وعن مظهر الحكومة الديني في المستقبل ، وأن حق الأقوى هو الحق الأوحد . وأن ملك إسرائيل سيكون بطريرك العالم .

القرار السادس عشر :

تكلم عن التعليم وكيف يكون في حكم الماسونية . وأبان أن الجامعات أصبحت عقيمة . وتكلم عن إعلان سلطة الحاكم في المدارس، وعن الغاء التعليم الحر . وعن النظريات الحديثة ، وعن حرية الفكر والتعليم بالتصوير . وكشف عن التصميم على إلغاء الجامعات، وإحلال نظام فكري جديد محلها . وأن رؤساء الجامعات وأساتذتها سيزودون سرا ببرامج سرية ومفصلة لا يمكنهم الخروج عليها ، ويختارون بتدقيق شديد ، ويكونون خاضعين للحكومة ، وسيحذفون من التعليم الحقوق المدنية وكل ما يتعلق بالمسائل السياسية ، فان تلك الأشياء لا يتلقاها إلا حفنة من الأشخاص ،

تختارهم الكليات العليا . وأن لا تمكن الجامعات من تخريج أناس يعملون على ايجاد مشاريع دستورية ، كأنهم يعملون على إخراج ملهاة أو مأساة ، ويشغلون أوقاتهم بمسائل سياسية لم يفقهها آباؤهم من قبل ولم يعلموا عنها شيئاً . . . . الخ .

القرار السابع عشر :

تكلم عن المحاماة . وعن نفوذ رجال الدين غير اليهودى . وعن حرية العقيدة . وذكر أن ملك اليهود سيكون بطرير كا وبابا . وبين وسائل الكفاح ضد الكنائس الحالية ، ومسائل الصحافة المعاصرة وطريقة تنظيم رجال الشرطة والمتطوعين فيها . وتكلم عن الجاسوسية وفق نظام الجمعيات اليهودية ، وعن إساءة استعمال السلطة .

القرار الثامن عشر :

تكلم عن وسائل الأمن ، ومراقبة الفتن ، وعن أن الحراسة الظاهرة للملك هى تقويض للسلطة ، وعن حراسة ملك اليهود .

القرار التاسع عشر :

تـكلم عن حق تقديم المقترحات ، وعن الجرائم السياسية التى تقضى فيها المحاكم .

القرار العشرون :

تـكلم عن البرنامج الاقتصادى والضريبة التصاعدية ، وأوراق التمغة والنقد وعن ديوان المحاسبة ، وحبس رءوس الأموال . و إصدار العملة والمقايضة بالذهب والميزانية وقروض الحكومة وسندات الصناعة . وقال عن ملوك المسيحيين ومندوبيهم أنهم كانوا ستاراً لدسائس الماسونية .

القرار الحادى والعشرون :

تـكلم عن القروض الداخلية والضرائب وصناديق الادخار . وعن الدخل . و إلغاء بورصة الأوراق المالية وعن الضريبة على سندات الصناعة .

القرار الثانى والعشرون :

تـكلم عن هالة السلطة وعبادتها الروحية . وقال « إن الوقت قريب والحوادث الماضية تنبىء بمستقبل سيحقق . وقد أخبرتـكم بسر علاقاتنا

مع المسيحيين و بسر أعمالنا الاقتصادية بما لا يحتاج إلى مزيد . وفى أيدينا أقوى سلطة وهى الذهب ، و يمكننا فى يومين أن نسحبه من خزائننا بأكبر كمية ترضيكم . ولسنا بحاجة إلى التأكيد بأن حكومتنا قد قضى بها الله ، وأن الأمن سيستتب بشىء من العسف . وأننا سيمكننا أن نثبت أننا أولياء النعم . نحن الذين أسدينا إلى العالم المضطرب الخير الحقيقى ، وحرية الفرد الذى سينعم بالهدوء والسلام ، و بحسن الروابط بشرط أن يراعى القوانين التى نصدرها » .

القرار الثالث والعشرون :

تكلم عن إنقاص إنتاج أدوات الترف وعن الصناعات الصغيرة ، وعن البطالة ومنع السكر ، والقضاء على الهيئات القديمة ، و إعادة تكوينها على نظام جديد ، وتكلم عن الحاكم المختار من الله ، وأنه بعد القضاء على المجتمع القديم سيرتفع عرش ملك إسرائيل ، وسينتهى بذلك أمر العالم القديم .

القرار الرابع والعشرون :

تكلم عن أسلوب صيانة دولة اليهود ، وأن أعضاء من نسل داود سيُعِدُّون ويربون الملوك وخلفاءهم ، الذين ينتخبون لمواهبهم الخاصة ، وأن خطط المستقبل لن تكون معروفة إلا الملك والثلاثة الذين درّبوه ، وأن ملك اليهود لا يمكن تناوله بالنقد أو المؤاخذة بأي حال .

* * *

كان لنشر ترجمة هذه القرارات من الروسية إلى لغات العالم دوى عظيم ، أحدث هزّة كبرى في الأوساط الأوربية والأمريكية ، وعلقت عليها صحف كثيرة من بينها جريدة « التيمس » كبرى صحف لندن ، فقد نشرت مقالات في ٨ مايو سنة ١٩٢٠ وفي ١٦ و١٧ و١٨ أغسطس سنة ١٩٢١ أوضحت في أولاها أن اليهود نظموا — منذ أجيال — تدبيراً سياسياً عالمياً يحمل بين طياته البغض التقليدي الشديد للمسيحيين . كما نشرت جريدة « المورننج بوست » — وهي من أشهر صحف لندن — في عددها الصادر في ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢١ مقالاً ، ذكرت فيه أن ما تضمنته قرارات

حكماء صهيون هو الوسائل التى حطمت و يمكن أن تحطم الأمبراطوريات الـكبرى .

من هذا كله ندرك بغير عناء أسباب قيام الثورة الروسية الـكبرى فى سنة ١٩١٧ وقتل القيصر نيقولا الثانى سنة ١٩١٨ ، ووقوع روسيا فى أيدى اليهود وفرضهم النظام الشيوعى عليها ، وقضائهم رسمياً على الدين المسيحى هناك ، واعتبارهم الأديان جميعها أفيوناً للشعوب ، وكذلك ندرك أسباب جعل الشيوعية مذهبا تحت اسم «الـكومنفورم» ، تبشر به روسيا لتجتذب الطبقات الفقيرة ، كى تصل عن طريقها إلى هدم النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية القائمة فى العالم .

عود إلى مؤتمر (بال)

إن لمؤتمر « بال » أهمية عظمى فى تاريخ اليهود . ويعتبر بحق المرحلة الفعالة للوثبة الصهيونية الكبرى . ذلك أنه بعد أن اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود وبخاصة فى أوربا الشرقية ، روسيا وبولندا ورومانيا ، وبعد أن هاجر كثير منهم من تلك البلاد . أخرج « تيودور هرتزل » كتاباً يدعو فيه إخوانه اليهود فى العالم كله إلى التضامن والكفاح ، ليتسنى إقامة دولة صهيونية لها كيانها واستقلالها . ثم انعقد هذا المؤتمر فى مدينة « بال » بسويسرا — كما ذكرنا — وتكرر انعقاد المؤتمرات الصهيونية فى سويسرا وغيرها ، وانتشرت أخبارها فى الصحف . ثم خطا «هرتزل» وأعوانه خطوات جدية لتحقيق مآرب اليهود . ومما قام به أنه عرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وتملك الأراضى فيها ، مع استعدادهم لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك . فأبى السلطان عبد الحميد السماح لهم بما طلبوه . فولوا وجوههم نحو إنجلترا ، وكان لهم فيها نفوذ كبير ، إذ كان فيها من اليهود كبار رجال المال ، وأخصهم اللورد روتشيلد عميد اليهود هناك ، وكثير غيره من الوزراء والكتاب والصحفيين والنواب .

وكان من أثر ذلك أن أرسل وزير خارجية إنجلترا فى سنة ١٩٠٣ إلى اللورد كرومر عميدها فى مصر، أن يساعد اليهود على استعمار شبه جزيرة سينا[1] .

وبمعنى آخر أراد وزير خارجية بريطانيا الأمين على مصر ، اقتطاع جزء كبير من أرضها ومنحه لليهود ، دون التفات إلى « مصر » صاحبة البلاد . ولم يكن الإنجليز وقتئذ سوى محتلين ، أتوا إليها لتأييد عرش الخديوى ، وأعلنوا أنهم سيغادرونها بعد استتباب الأمن فيها .

نفذ « كرومر » أمر وزارة خارجية بريطانيا . ورضى أن يقتطع هذا الجزء الكبير من مصر ، ويهبه لليهود . كى يتمكنوا من إقامة مستعمرة أو دولة يهودية فيه . وقام الخبراء من إنجليز ويهود بمعاينة «سينا» واختيار المواقع التى تصلح لاستعمار اليهود. لكنهم رأوا صعوبة فى ريها واستثمارها فرفض اليهود امتلاكها . وهنا يقول الدكتور «حاييم وايزمان» فى مذكراته. وهو خليفة هرتزل فى زعامة اليهود . وأول رئيس لجمهورية إسرائيل — إنه يأسف لرفض اليهود استعمار سينا ، وكان من رأيه قبول استعمارها وتوطنها ، لتكون نقطة يرتكز عليها اليهود فى الوثوب مستقبلا إلى جارتها فلسطين .

(١) مساحة « سيناء » تبلغ (٨٢) الف كيلو متر مربع . وهى أكبر من مساحة «سورية» وتزيد على ثلاثة أمثال مساحة فلسطين ، وعلى ثمانية أمثال مساحة «لبنان» .

وبعد هذا الرفض ، عرض الإنجليز سنة ١٩٠٤ على اليهود استعمار جزء في شرق إفريقيا (أوغنده) . مع العلم بأن هذه المنطقة كانت تحت حماية مصر في عهد إسماعيل بمقتضى معاهدة أخفاها الإنجليز كما يشهد التاريخ .

وهكذا كان حظ المصريين مع الإنجليز إبان الاحتلال . فإنهم أرادوا أن يهبوا لليهود « سيناء » وهي من أرض مصر ، ثم « أوغندة » من بعد ذلك ، وكانت تابعة لمصر . ثم انتهوا أخيراً إلى أن وهبوهم فلسطين العربية ، والتي لا يمتلكونها ، بعد طرد أهليها وتشريدهم ، كما سنبين ذلك .

الحرب العالمية الأولى

شبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، وانضم الأتراك إلى الألمان في هذه الحرب ضد بريطانيا وحلفائها . وكان سلطان تركيا — كما نعلم — هو خليفة المسلمين . وكانت البلاد العربية — العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين وشبه الجزيرة العربية واليمن — تحت سلطانه . وكان المفروض أن هذه البلاد تشد أزره ، وتعاونه ضد بريطانيا وحلفائها . وتخضع لما يأمر به السلطان . لكن الأمور لم تجر على هذا النحو . وكانت السلطنة العثمانية هي وحدها المسئولة عن تفكك أوصال الإمبراطورية وضيق العرب بحكمها . والدليل على هذا أن السلطنة العثمانية كانت إلى عهد السلطان عبدالحميد إمبراطورية أتوقراطية ، يحكمها السلطان وحاشيته، وقد أهملت هذه السلطنة مقوماتها، من عدل وعلم وفن وإنتاج ، وجعلت من العرب أمة مهيضة الجانب لا شأن لها في إدارة حكم نفسها ، وحاربت اللغة العربية ، وجعلت التركية هي اللغة الرسمية في مصالح البلاد جميعها . ولقيت الشعوب العربية كل عسف وجور ، بل إن الشعب التركى نفسه قاسى من حكامه كثيراً من العنت والجور . فساد الجهل والفقر أجزاء

الإمبراطورية بما فيها الأقاليم التركية . وانتشر الظلم والرشوة . كما انتشر الفساد والمحسوبية وامتهنت كرامة الرعايا ، وحرم عليهم الإفصاح عن آرائهم ، فلا تكتب جريدة ولا يصدر مؤلف إلا بإرادة السلطة العليا ووفق أهوائها . إلى أن اندلعت الثورة التركية ، وبعدها أعلن الدستور فى سنه ١٩٠٨ . وقامت الحياة النيابية ففرحت كل شعوب الإمبراطورية بهذه الخطوة المباركة ، أملا فى أن يقوم حكم ديموقراطى سليم . ولكن ما لبثت تلك الأفراح أن ذهبت ، إثر قيام جمعية الاتحاد والترقى ، وتسلمها زمام الأمر فى الدولة ، فقد كان اتجاهها اتحاد العنصر الطورانى (التركى) ، وتمييزه على العنصر العربى ، فأحس العرب بسوء مصيرهم وهوان شأنهم ، فغضبوا ، وكونوا جمعيات سرية وعلنية ، تطالب بحرية العرب وبإشراكهم فى إدارة شؤون بلادهم . وكما طالبوا أيام عبد الحميد بشىء من الاستقلال الداخلى ، طالبوا بهذا أيضاً أيام جمعية الاتحاد والترقى ، وهى مطالب حاربتها السلطة المركزية فى الآستانة بكثير من العنف والعسف . ونجم عن ذلك مهاجرة كثير من أحرار العرب إلى بلاد أخرى ، أخصها مصر التى كانت ملاذ الأحرار من مسيحيين ومسلمين . كما فر كثير منهم إلى أوربا بصفة عامة ، وباريس بصفة خاصة . وألفوا هنا وهناك

جمعيات سرية وعلنية ، كما أصدروا صحفاً ومؤلفات فيها الكثير ضد الإدارة التركية .

ولقد ذهبت إلى الآستانة سنة ١٩٠٩ ، مع صديقى المرحوم محمد فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى ، ونفر من أصدقائنا لتقديم التهنئة للأتراك بدستورهم الجديد . وهناك دهشت حين رأيت بعض الضباط من العرب — ومن بينهم زميلى القديم فى المدرسة الخديوية الثانوية الضابط عزيز المصرى — يشكون مرّ الشكوى من سوء معاملة جمعية الاتحاد والترقى . وكانوا أشد ما يكونون ألماً لما يلقونه من إهمال شأنهم وعدم الثقة بهم . وقد كونوا من بينهم تشكيلة سرية تسعى لجمع صفوفهم ، والدفاع عن عنصرهم ومركزهم الاجتماعى ، وحقهم فى العمل لرفع شأن بلادهم العربية .

وعلمت فيما علمت أن كثيرين من زعماء العرب أهينوا وشردوا وعذبوا لاجترائهم على المطالبة بحرية بلادهم واستقلالها استقلالا ذاتياً فى دائرة السلطنة العثمانية ، مع استعدادهم للدفاع عن السلطنة والولاء لها .

وبعد أن رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت ، أيقنت أن مستقبل

الإمبراطورية العثمانية مهدد إذا استمرت سادرة فى خطتها . وسينتهى أمرها حتما إلى ما انتهت إليه الإمبراطوريات القديمة التى أهملت قواعد العدل والإنصاف ، وتغاضت عن نشر العلوم والفنون والأخذ بأسباب الرقى فى التجارة والصناعة والمواصلات وبث روح الأخوة بين المواطنين .

لهذا كان طبيعيا أن يتخذ العرب لهم خطة عندما شبّت الحرب العالمية الأولى ، كى يتخلصوا من ربقة الظلم والاستبداد . وكان الشريف حسين شريف مكة أكبر شخصية تمثل العرب حينئذ ، فانتهز الانجليز الفرصة واتصلوا به ، وأفهموه أن اشتراكه فى الحرب إلى جانب الحلفاء يحقق أمانى العرب أجمعين . وعلى إثر ذلك كتب الحسين شريف مكة فى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ إلى السير هنرى مكماهون — المندوب السامى فى مصر — بصفته ممثلا للحكومة البريطانية ، كتابا جاء فيه ما يأتى :

« يجب أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية بكل معنى من معانى الاستقلال ، وتكون حدودها شمالا مرسين وأطنة حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض ... إلى حدود فارس ، وشرقا حدود فارس حتى خليج البصرة ، وجنوبا المحيط الهندى . ويستثنى من ذلك منطقة عدن التى تبقى كما هى ،

وغربا البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى « مَرْسين » .

فرد عليه السير هنرى مكماهون بكتاب فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ بما يأتى :

« نتشرّف بإسداء الشكر إلى سموكم من أجل إفصاحكم عن شعوركم الخالص نحو انجلترا ، وإنه ليسرنا أن تكون المصالح العربية بريطانية . والبريطانية عربية ، فى رأى سموكم ورأى رجالكم ، وبهذا القصد نثبت لكم ما جاء فى رسالة اللورد كتشنر التى وصلت إليكم . . . . وهى الرسالة التى سطرت فيها رغبتنا فى استقلال العرب والبلدان العربية . . . . وأما مسألة الحدود فيلوح لنا أنها سابقة لأوانها ، وأن وقتنا ليضيق عن البحث فى مثل هذه التفاصيل ، ونحن بعد فى إبان الحرب . وفى حين أن التركى لايزال هو المحتل احتلالاً فعلياً ، فى كثير من الأقسام الواقعة ضمن تلك الحدود ، لاسيا وقد بلغنا — فعجبنا وأسفنا — أن بعض العرب فى هذه الأقسام ، غير مغتنمين لهذه الفرصة العظيمة السانحة لهم ، بل هم عنها صادفون ، وإلى جانب الألمان بسلاحهم واقفون ، وما الأول إلا سالبهم الجديد ، وما الثانى إلا ظالمهم العتيق » .

فكتب الشريف الحسين فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ كتابا جاء فيه :

« . . . . . . ولكنكم يا صاحب الفخامة تصفحون فتسمحون إذ أقول بصراحة : إن ما بدا من التوانى والتردد فى مسألة الحدود . باعتبار البحث فيها فى الوقت الحاضر مضيعة للوقت . . . . قد يتخذ دليلا على فتور . أو شيء من هذا القبيل » .

فأجاب السير مكماهون فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ بما يأتى :

« لقد تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٩ سبتمبر بكثير من الغبطة والسرور. وكان للعبارات الودية المخلصة التى وردت فيه أكبر تأثير فى نفسى .

وانى ليؤسفنى انكم لاحظتم فى كتابى الأخير . وحديثى عن قضية الحدود . شيئاً من الفتور والتردد مع أنى لم أقصد ذلك . بل كنت أود أن أقول إن الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا مثمرا .

« وقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعلقون أهمية كبرى على قضية الحدود . وأنكم تعتبرونها من المسائل الحيوية . فأرسلت مضمون كتابكم إلى الحكومة البريطانية . وانى ليسرنى أن أرسل إليكم البيانات التالية . التى أثق كل الثقة بأنها ستفوز برضائكم » .

« إن سنجق مرسين والاسكندرونة و بعض الأقسام السورية الواقعة

فى غرب سناجق دمشق . وحمص . وحماه . وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محضة . ولذلك يجب أن تستثنى من الحدود المقترحة» .

« ونحن نوافق على تلك الحدود مع التعديلات المشار اليها أعلاه . على ألاَّ تنتقص شيئاً من معاهداتنا الحالية مع الزعماء العرب . أما الأراضى التى تستطيع انجلترا العمل فيها بملء الحرية . ودون أن توقع أضرارا بمصالح حليفتها فرنسا . فقد خولت باسم حكومة بريطانيا العظمى أن أعطيكم التأكيدات التالية بشأنها ، وأن أجيب على كتابكم بما يلى :

« ان انجلترا مستعدة على أساس التعديلات المشار اليها أعلاه أن تعترف باستقلال العرب ضمن البلاد المشمولة فى الحدود والتخوم التى اقترحها شريف مكة ، وأن تؤيد ذلك الاستقلال . وتضمن بريطانيا العظمى حماية الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى . وتعترف بأنها مصونة من كل تعد . و تقدم بريطانيا إرشادها للعرب عندما تسمح الحالة بذلك . وتساعدهم على تأليف شكل الحكومة التى يلوح أنها أفضل الأشكال فى مختلف البلاد العربية المذكورة .

وانى لعلى ثقة بأن هذا التصريح يجعلكم أبعد ما تكونون عن الشك فى عطف بريطانيا على أمانى أصدقائها العرب منذ القدم، و يؤدى حتما إلى

تحالف وثيق أبدى . سيكون من نتائجه المباشرة طرد الأتراك من البلاد العربية . وتحرير العرب من النير التركى الذى كان ولا يزال يثقل أعناقهم منذ أعوام . . . . » .

ولما كان هذا الخطاب عهدا من الحكومة البريطانية للعرب . مؤيدا مطالبهم فى الحدود التى اقترحها شريف مكة ولم يخرج منها إلا ما كان مرتبطا بمصالح فرنسا وقد سبق أن طلبت هذه فى السنة نفسها أن يكون لها وحدها حق الرقابة على سوريا — فقد أبان هذا العهد من بريطانيا أنها تكفلت باعطاء التأكيدات فيما يختص بالأراضى التى تستطيع العمل فيها بملء الحرية . ودون أن توقع أضرارا بمصالح حليفتها فرنسا .

وبناء على هذا العهد الصريح الذى لاشك فيه ولا لبس . والذى يدخل فلسطين حتما فى دائرة المملكة العربية المستقلة ، أجاب الشريف الحسين بالقبول بكتاب فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ جاء فيه :

« حبا فى تسهيل الاتفاق . وفى تأديه خدمة للاسلام . نرجع عن اصرارنا على ادخال ولاية مرسين واطنه فى المملكة العربية . أما ولايتا حلب وبيروت وسواحلهما البحرية فانهما ولايتان عربيتان صرفا . ولا فرق هناك بين مسلم ومسيحى عربى . . . . إننا لنعلم أن حظنا من هذه الحرب

قد يكون نجاحا يضمن للعرب حياة تليق بماضيهم . أو هلاكا فى سبيل إدراك هذه الغاية . ولولا ما أعهده من توطد عزائم العرب على إدراك هذه الغاية لآثرت العزلة على رأس جبل . ولكن العرب هم الذين ألحوا أن أتولى توجيه النهضة إلى هذه الغاية والله المسئول أن يطيل بقاءكم ، ويتولى نصركم ، وهو مأمولنا ورجاؤنا »

فكتب السير هنرى مكماهون كتابا فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ إلى الشريف الحسين جاء فيه :

« يسرنى انكم توافقون على إخراج ولاية مرسين وأطنة من حدود الأقطار العربية . . . . وبخصوص ولايتى حلب و بيروت فقد أخذت حكومة بريطانيا العظمى علما بملاحظاتكم . انما لما فى الأمر من مصالح لحليفتنا فرنسا . فالمسألة تستدعى تبصرا دقيقا . وسنوجه اليكم فى حينه مذكرة أخرى فى هذا الصدد » .

فأجاب الشريف الحسين فى يوم رأس سنة ١٩١٦ بكتابه النهائى بما يأتى :

« . . . . أما الأقسام الشمالية وسواحلها فقد ذكرنا فى كتابنا السابق أقصى ما أمكن من التعديلات . وذلك كله انما كان من أجل

إنجاز تلك الأماني التي يشوقنا نيلها باذن الله سبحانه وتعالى . وهو هو ذلك الشعور نفسه الذى حدا بنا إلى تجنب ما يخشى أن يضر بالتحالف بين بريطانيا وفرنسا . وبالاتفاق المبرم بينهما فى هذه الحرب وويلاتها . لكننا نرى من الواجب علينا أن نؤكد للوزير الخطير أننا فى أول فرصة تسنح بعد نهاية الحرب سنطلب منكم ما نصرف عنه أعيننا اعتبارا من اليوم، ونتركه الآن لفرنسا فى بيروت وسواحلها » .

فكتب السير هنرى للشريف يقول :

« تلقيت أمراً من حكومتى لأعلمكم أن جميع مطالبكم مقبولة ... »

وعلى إثر ذلك أعلن شريف مكة والعرب الحرب على تركيا فى ٩ يونيه سنة ١٩١٦ .

وكان من نتيجة هذه المفاوضات أن اللجنة الوطنية السرية فى سوريا قررت فى سنة ١٩١٥ رفض ما عرضته عليها الحكومتان العثمانية والألمانية من الوعد بالاستقلال . واعتزمت توحيد العمل مع شريف مكة .

كما أن الأتراك قد حاولوا أيضا أن يدخلوا مع العرب فى معاهدة منفردة، تقوم على أساس اعتراف تركيا ، باستقلال البلاد العربية . وقد أبرق الملك حسين فى السنة الأخيرة من سنى الحرب بنبأ هذا العرض إلى الحكومة

البريطانية . فأجابه وزير خارجيتها ، وكان المستر بلفور بواسطة المعتمد البريطانى فى جدة ، شاكراً له صدق ولائه ومصرحاً بما يأتى :

« حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالاتفاق مع دول الحلفاء تؤيد عهودها السابقة ، المتعلقة بالاعتراف باستقلال البلاد العربية » .

ويفهم من رفض الشريف حسين واللجنة الوطنية السرية فى سوريا ماعرضته عليهما تركيا وألمانيا أنهما كانا على ثقة تامة بوعود انجلترا ، وانها لامحالة منفذة تعهداتها بصدق وأمانة[1] .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ماكان من أثر لما ارتكبه جمال باشا الطاغية التركى من الفظائع ضد أحرار العرب فى بيروت وغيرها . فقد ساعد ذلك على إصرارهم على التخلى عن تركيا ، وعلى محاربتها .

---

(١) انظر تفاصيل الثورة العربيه فى كتاب « حول الحركه العربيه الحديثة » للاستاذ محمد عزة دروزة . وكذلك تقرير اللجنه الملكيه البريطانيه برئاسه اللورد بيل والصادر سنة ١٩٣٧ .

وعد بلفور

اطمأن العرب إلى تعهدات بريطانيا الصريحة السالف ذكرها ، وأنها ستنيلهم استقلال بلادهم بالحدود التي عرضها الشريف حسين . عدا الاستثناء الذى أتى على لسان السير مكماهون خاصاً بمصالح فرنسا فى سوريا والذى كان نتيجة اتفاق سري يعرف بمعاهدة « سيكس بيكو » سنة ١٩١٦ وأن هذه الحدود التي اتفق عليها مع شريف مكة تشمل فلسطين قطعاً .

اطمأن العرب إلى ما تعهدت به الدولة البريطانية ، وبخاصة بعد هذا التصريح الصادر من السير مكماهون بلسان دولته فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ وفيه يقول : « إن الأراضى التى تستطيع انجلترا العمل فيها بملء الحرية . ودون أن توقع ضرراً بمصالح حليفتها فرنسا تؤيد انجلترا استقلال هذه الأراضى . وتضمن بريطانيا العظمى حماية الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى ، وتعترف بأنها مصونة من كل تعد » .

بعد هذا كله . وبعد أن أعلن العرب الحرب على الأتراك ، واستمروا فيها بجانب الحلفاء ، وأشعلوا فى جزيرة العرب ثورة عامة عارمة ، بذلوا فيها ما بذلوا من تضحيات فى الأموال والأرواح ، وكان لها أثرها الفعال —

بأعتراف بريطانيا العظمى وحلفائها — فى إحراز النصر . بعد هذا كله صدم العرب بإعلان تصريح من جانب الحكومة البريطانية عرف بتصريح بلفور . وجهه المستر بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى اللورد روتشيلد اليهودى فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو بنصه :

« ... يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى ، الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته .

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية .

« على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » وإن من ينعم النظر فى هذا التصريح يدرك أن تعبيراته وكلماته المائعة كانت نتيجة تدبير خفى كشفت الأيام ستره وأظهرت نوايا واضعيه .

ولا يغرنك تصريح للرئيس ولسن فى ديسمبر سنة ١٩١٧ أقره الحلفاء

بلا قيد ولا شرط وأعلنوه للملأ ، ذلك هو تصريح الأربعة عشر مبدأ للسلم العام ، وقد جاء فيه :

« إن الأجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية يجب أن تضمن لها سيادتها التامة . أما الشعوب الأخرى (غير التركية) الخاضعة الآن للحكم التركى ، فينبغى لها العيش بأمان واطمئنان ، وأن تتاح لها فرصة الرقى فى مدارج الحكم الذاتى ، دون تدخل أو إزعاج » .

كما لا يغرنك تصريح مشترك أعلنته بريطانيا العظمى وفرنسا على الأمم العربية ، ومنها فلسطين فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ وجاء فيه ما يأتى :

« إن الهدف الذى سمت إلى تحقيقه بريطانيا وفرنسا عندما خاضتا فى الشرق غمار الحرب التى أثارتها مطامع الألمان هو تحرير شعوبه التى مضى عليها ردح طويل من الزمن وهى تذوق الأمرين تحت حكم الأتراك . وإقامة حكومات وإدارات وطنية . تستمد سلطتها من السكان الوطنيين وتسير وفق رغباتهم الحرة .

« وتحقيقاً لهذه المقاصد ستقوم فرنسا وبريطانيا العظمى فوراً بتشجيع ومساعدة إنشاء حكومات وإدارات وطنية فى سوريا والعراق ، اللذين تم تحريرهما بواسطة الحلفاء ، وفى البلاد الأخرى التى تسعى هاتان الحكومتان

لتحريرها ، وأن تعترفا بها حين تأليفها . وهما لا تنويان قط أن تعرضا على سكان هذه الأصقاع أى شكل من المؤسسات الحكومية ، بل إن جل غايتهما أن تضمنا بما تقدمانه من المعاضدة والمساعدة الوافية حسن سير الحكومات والإدارات التى يختارها السكان أنفسهم » .

ولا يغرنك — مع الأسف الشديد — ميثاق عصبة الأمم ذلك الميثاق الذى وضعه الحلفاء وتم توقيعه فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٩ وأعلنوه للملأ . وهاك نص المادة ٢٢ من الميثاق :

« إن المستعمرات والأقاليم التى قضت نتائج الحرب بخروجها من سيادة الدول التى كانت تحكمها فيما مضى ، والتى تسكنها شعوب لا تستطيع حكم نفسها فى الأحوال الشاقة التى تسود العالم الحديث ، ينبغى أن يطبق عليها المبدأ القائل : أن خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدنية . وأن تدمج فى هذا الميثاق الضمانات اللازمة لحسن أداء هذه الأمانة ... الخ » .

ولقد وضع الحلفاء فى ميثاقهم هذا أسساً للمدنية نبيلة هى مبدأ تقرير المصير ، وألا غنائم فى الحرب ولا ضم ولا إلحاق ضد رغبات الشعوب . وأن الأمم والبلاد لم تصبح سلعاً تباع وتشترى .

ووضعوا بدل نظام الضم والإلحاق والفتح نظام الانتداب . وهو ليس شيئاً سوى ما قررته المادة ٢٢ من أن خير الشعوب ورقيها أمانة مقدسة فى عنق المدنية .

***

كيف ظفر اليهود بوعد بلفور؟

وضح مما سبق أن هناك فرقا شاسعاً بين المبادئ التى أعلنها الدكتور ولسن والتزامات دول عصبة الأمم — وهى مبادئ صريحة — وبين النص الغريب المبهم الذى جاء فى تصريح بلفور . فما علة هذا التناقض ؟ وما السر الذى ينطوى عليه تصريح بلفور ؟ وهل انتصرت مبادئ عصبة الأمم بزعامة الدكتور ولسن ، أو انكشف الغطاء فيما بعد عما يريده بلفور وشيعته من وعده الذى أعلنه لليهود وللعالم فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ؟

الحقيقة أن مبادئ الدكتور ولسن وتصريحات عصبة الأمم قد فشلت فشلا ذريعاً ، وأن وعد بلفور قد انتهى بإعطاء فلسطين لليهود ، وبطرد

العرب أصحاب البلاد منها ، و بتدفق هجرة اليهود إليها ، وقيام ما يسمونه الآن « دولة إسرائيل » .

وهذا كله يقتضينا البحث فيما أدى إلى هذه الكارثة التي ما كنا نعرف عناصرها من قبل . وحسبي أن أسرد الوقائع الآتية :

إن لوعد بلفور أسباباً قديمة وحديثة ، وكلها متصلة الحلقات يدركها من يتتبع الحوادث، و يتفهم أغراض الماسونية اليهودية . وقد عرضنا شيئاً غير قليل مما يكشف عن أغراض الماسونية اليهودية ، كما عرضنا ملخصاً لقرارات حكماء صهيون . ونريد الآن بسط مجمل لبعض حوادث قامت في القرن التاسع عشر أو العشرين ، ليعلم من لم يكن يعلم ، تسلسل أعمال الصهيونية ، وتغلغل النفوذ اليهودي في إدارة البلاد الأوربية وغيرها . مما يثبت أن الصهيونية لا تبغي سوى العصف بحكومات الأرض ، و إقامة دولة عالمية لليهود ، تتحكم في رقاب تلك الشعوب المنحطة في نظرها . وأولها الشعوب المسيحية القوية التي تقف سداً أمام انتشار سطوتهم ونفوذهم .

أتى وقت كانت فيه روسيا وما جاورها أشد أعداء اليهود وقد أذاقتهم الذل والمصادرة والطرد ، لما اقترفوه من قسوة في معاملاتهم مع سكان أوربا الشرقية ، وهي معاملات مالية واقتصادية . ولما خلقوه من أسباب الفوضى

والاضطرابات فى تلك البلاد . فكان لا بد للماسونية اليهودية من الانتقام لما أصاب اليهود من محن، اضطرت الكثيرين منهم إلى الهجرة من شرق أوربا . واتخذوا لذلك سبلاشتى : منها قيام كارل ماركس اليهودى الألمانى بنشر نظرياته المعروفة فى حرب الطبقات وفى وضع مبادىء الشيوعية ، وقد اعتنقها كثير من الروس اليهود وغير اليهود ، ومن هؤلاء لينين زعيم روسيا الأكبر وكان متزوجاً بيهودية . وتروتسكى الزعيم الجهنمى للشيوعية وهو يهودى لحماً ودماً ، وكثير غيرهما ، قاموا بالثورة الروسية الكبرى سنة ١٩١٧ ، وباغتيال القيصر والأمراء والأعيان سنة ١٩١٨، كما فتكوا برجال الدين وألغوا الدين المسيحى نفسه .

ومن أغرب ما سطره التاريخ ، أن الماسونية اليهودية التى روجت المبادىء الشيوعية ثم قامت بالانقلاب الشيوعى فى شرق أوربا ، هى رأسمالية محضة فى غرب أوربا ، ويحمل لواءها اللورد روتشيلد اليهودى وأضرابه .

واليهود هم الذين سعوا ونجحوا فى إبرام معاهدة « برِسْت لِيتُوفْسْك » وهى المعاهدة التى أعقبت هزيمة الإمبراطورية الروسية أمام ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى بعد واقعة « المستنقعات » الشهيرة ، التى انتصر فيها الألمان

بقيادة المارشال « هندنبرج » ، وانهزم فيها الجيش الروسى شر هزيمة ، وانسحبت روسيا بسببها من الحرب ، وانفصلت عن حلفائها دول الغرب . وتألفت إثر ذلك حكومة روسية برئاسة اليهودى « كيرنسكى » الذى حل مجلس الدوما (البرلمان الروسى) ، وكانت حكومته قنطرة بين النظام القيصرى والشيوعية الحمراء التى قامت فى روسيا بعد ذلك .

وكما أن « لينين » زعيم الشيوعية فى روسيا كان زوجاً ليهودية ، فإن « تروتسكى وراديك وزينوفييف » وثلاثة أرباع قوميسارى الروس كانوا يهودا (١) .

وفوق ذلك كله ، فإن يهود روسيا يعترفون صراحة بأنهم هم الذين صنعوا الثورة الروسية ، ويفاخرون بما عملوا . ومن ذلك ما نشرته جريدة تصدر بمدينة شيركوف باسم دِرْ كُو مُونيست (أى الشيوعى) بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩١٩ بقلم إسرائيلى اسمه (م . كوهين) وجاء فى مقاله ما يأتى :

« يمكن القول بلا مبالغة أن الثورة الروسية الكبرى كانت من عمل

---

(١) انظر كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية السالف الذكر .

اليهود، وأن هؤلاء اليهود لم يقوموا بهذا العمل فحسب ، و إنما تولوا رعاية المذهب السوفييتى . و يمكننا أن نطمئن نحن اليهود ما دامت إدارة الجيش الأحمر العليا فى أيدى ليون تروتسكى(١) .

ومن هذا يتضح أن الماسونية اليهودية كانت ذات وجهين : فهى لروسيا ، شيوعية مخربة . وهى للغرب ولأمريكا ، رأسمالية صهيونية . ولم يكن ذلك إلا تنفيذاً لقرارات حكماء صهيون ، وهى تنص بأن يكون الماسونية فى كل بلد نظام خاص، وأساليب خاصة ، كى تصل إلى تقويض العالم و إقامة دولة اليهود العالمية .



وإذا تركنا الشرق واتجهنا إلى الغرب ، نرى أن الدكتورحاييم وايزمان بعد أن مات تيودورهرتزل — اتجه إلى الغرب ، وهو روسى المولد والجنسية، وانتهى مطافه إلى انجلترا وتجنس بالجنسية الإنجليزية ، وأصبح أستاذاً للكيمياء فى جامعة منشستر ، واتصل هناك بالزعيم الصهيونى روتشيلد ، كما اتصل بكبار رجال انجلترا ، وتمكن بمساعدتهم من أن يجذب إليه لويدجورج و ونستون تشرشل و بلفور وغيرهم من المسيحيين الإنجليز، كما كان

(١) انظر المقال فى كتاب الخطر اليهودى الماسونى بالفرنسية بقلم الأب جوان .

معه فى خطته من الإنجليز اليهود كثيرون من العظماء والوزراء ، منهم اللورد ريدنج وهور بليشا والسير هربرت صموئيل . وكان فى وزارة لويد جورج وزيران يهوديان، هما السير الفريد موند ، والأونورابل أدوين مونتاجو ، كما كان فى المجلس الاستشارى الخاص ستة أعضاء من اليهود .

سعى هذا النفر القوى فى التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين . وكان لليهود فى تلك الأوقات أعضاء فى الوزارة وفى مجلس العموم وفى مجلس اللوردات، وكثير من رجال المال والصحافة ، كما كان لهم نفوذ كبير فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفيها عدد منهم يقدر بالملايين . وقد تركز نفوذهم هناك فى المؤسسات المالية والتجارية وسيطروا على الصحف ، وكانت قوتهم تظهر بوضوح فى انتخابات رئاسة جمهورية أمريكا ، وكذلك فى انتخاب حاكم ولاية نيويورك ، وكان نفوذهم ملحوظا فى المحكمة العليا الأمريكية .

فلما سيطر وايزمان وروتشيلد على عقول بعض الوزراء والعظماء فى انجلترا كان لابد من وضع صيغة يعلنها (بلفور) ولا يثير ظاهرها مخاوف العرب . وهنا يعترف وايزمان فى مذكراته بأن المفاوضات بينه و بين الإنجليز قد استمرت زمناً طويلاً ، إلى أن تم الاتفاق بوحى اليهود أنفسهم

على وضع الصيغة النهائية التي أعطاها بلفور إلى اللورد روتشيلد فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ويمكننا أن نجزم أن الانجليز كانوا يتفاوضون مع الشريف حسين ، فى الوقت الذى كانوا يتفاوضون فيه مع الصهيونيين ، وانتهى الأمر بوضع حلفين متناقضين : أحدهما لأصحاب الحق سكان البلاد وهم العرب . وثانيهما للغدر بالعرب وإقطاع اليهود أرض فلسطين .

وتعمدوا أن يكون نص وعد بلفور مبهماً مائعاً لايدل على شيء واضح، مع الاتفاق سراً على أن تكون فلسطين تحت حماية انجلترا ، ومع الوعد الخطير بمنع إقامة حياة نيابية ، وبضمان هجرة اليهود إلى فلسطين ، حتى يصبحوا كثرة يمكن معها إقامة دولة يهودية .

وبهذا سقطت مبادئ ولسن ، كما سقط مبدأ عصبة الأمم الذى أعلن للناس وهو حق تقرير المصير ، وأن «خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدنية » !!! .

***

ثم وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى . ويقول حاييم وايزمان فى مذكراته : إن اليهودى الأمريكى « بنيامين كوهين » كان يتولى مع

سكرتير اللورد كيرزون — وزير خارجية بريطانيا حينذاك — وضع صك الانتداب على فلسطين والاتفاق على نصوصه .

وبعدئذ عين السير هربرت صموئيل اليهودى أول حاكم عام لفلسطين من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٥ ، كما عين المستر « نورمان بنتوتش » اليهودى نائباً عاماً ، مسيطراً على التشريع والمحاكم . وعين كذلك حاييمسون اليهودى مديراً لدائرة الهجرة . وعين غير هؤلاء كثيرون من اليهود فى المناصب الرئيسية ، حتى أصبحت فلسطين محكومة فعلاً باليهود .

وفتح الإنجليز الباب على مصراعيه للهجرة ، كما قامت الوكالة اليهودية بزعامة روتشيلد وغيره بشراء الأراضى ، على ألا يعمل فيها أى عامل عربى ، وكل بقعة من الأرض يشتريها اليهود يطرد العمال العرب منها ، ليحل محلهم عمال من اليهود .

وضح الخفاء بمجرد وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى . ولم يخف زعماء اليهود ما كان مبيتاً بينهم وبين الإنجليز . فقد صرح السير « الفرد » اليهودى (لورد ميلتشت) سنة ١٩٢٢ « بأن اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً . وأنه سيكرس ما بقى من حياته لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى » .

كما صرح المستر جابرتنسكى زعيم الصهيونيين الإصلاحيين أمام لجنة « شو » سنة ١٩٢٩ بأنه ينبغى صراحة أن تشجع الحكومة البريطانية الاستعمار اليهودى تشجيعاً فعلياً ، كى توجد فى البلاد أكثرية يهودية .

وصرح الزعيم اليهودى « زينكويل » بقوله « . . . وما على العرب إلا أن يهدموا خيامهم ، و يرحلوا إلى الصحراء من حيث أتوا » .

ونشر المستر (بنتويش) اليهودى — والذى كان رئيساً للنيابة العمومية فى فلسطين — كتاباً طبعه فى لندن سنة ١٩١٩ أسماه « فلسطين اليهود » مع ملحق له أسماه « إنقاذ بلاد يهوذا » جاء فيه كلام كثير مثير للشعور نقتبس منه ما يأتى :

« ولكن لا هذا ولا ذاك (أى الصلوات) يجددان بناء الهيكل (محل البراق الشريف) — إنما أبناء الجيل الذين سيقومون بهذا . والذين يعتقدون أن العمل هو الصلاة الحقيقية سينزلون فى القدس و يسكنونها . وهم ينتظرون قيام « قورش » جديد و « نحميا » جديد ، يشقان الطريق لاستعادة المكان المقدس الطاهر لليهودية (وهو المسجد الأقصى) » .

*
* *

وقد نشر اليهود من الخرائط والرسوم أنواعاً كثيرة ، منها صور للحرم الشريف ، وقبة الصخرة ومكان البراق ، وقد وضعوا عليها جميعاً شعارهم القومى والدينى ، وكتبوا عليها كتابات بالعبرية ، تثير العواطف وتؤلم النفوس ، رأيتها بنفسى وقدمتها إلى لجنة التحقيق فى قضية البراق . وكل هذا يدل دلالة أكيدة على أن القوم مصممون على انتزاع فلسطين من أهليها ، واغتصاب كل مقدسات العرب مسيحية كانت أو إسلامية .

***

لليهود أن يفكروا كما يشاءون ، وأن يحاولوا اغتصاب ما يريدون . لكن البلاء الأعظم أن يتواطأ المسيحيون من الساسة البريطانيين مع الصهيونية . فلقد جاء فى تقرير اللجنة الملكية بفلسطين (لجنة اللورد بيل) لسنة ١٩٣٧ ، ما يفضح الأمر ، ويثبت الحقيقة المرة ، والتواطأ المعيب .

جاء فيه أن المستر « ونستون تشرشل » وزير المستعمرات سنة ١٩٢٢ ، أصدر بياناً فى شهر يونيه من السنة المذكورة عن السياسة البريطانية فى فلسطين يقول فيه « ألا ضرر من تكوين طائفة لليهود فى فلسطين .

وأن تنمية الوطن القومى فيها ، لا تعنى فرض الجنسية اليهودية على أراضى فلسطين إجمالا . بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين فى أنحاء العالم . حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودى برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية ... الخ » .

وقد اعتبر المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات أن هذا هو تفسير حكومة جلالته لتصريح بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ثم جاء فى تقرير اللجنة المذكورة ما يأتى :

« وقد اعتبر هذا التفسير للوطن القومى فى بعض الأحيان أنه يحول دون إنشاء دولة يهودية . غير أنه وإن كانت عباراته قد وضعت فى قالب يرمى إلى تخفيف خصومة العرب للوطن القومى بقدر الاستطاعة ، ليس فيه ما يمنع من إنشاء دولة يهودية فى النهاية . وقد قال لنا المستر تشرشل نفسه ، عند ما أدلى بشهادته أمامنا ، أنه لم يكن يقصد الحيلولة دون إقامة دولة كهذه . وقد اشتركت الجمعية الصهيونية فى هذا الرأى . وصرحت لجنتها التنفيذية أن هذه الجمعية ستسير فى أعمالها على أساس سياستها المبسوطة هنا ، وأن السبب الذى حال دون الإشارة إلى الدولة اليهودية فى سنة ١٩٢٢ (أى فى بيان المستر تشرشل) هو عين السبب الذى حال

دون الإشارة إليها فى سنة ١٩١٧ (أى فى تصريح بلفور) . فلقد كان الوطن القومى مجرد تجربة » .

ثم يأتي فى تقرير لجنة بيل أيضاً ما يلى :

« ومن الواضح على كل حال أنه لم يكن فى استطاعة حكومة جلالته أن تتعهد بإنشاء دولة يهودية ، بل كل ما كان فى وسعها عمله هو أن تتعهد بتسهيل نمو (وطن) . أما نمو هذا الوطن نمواً كافياً ، وتطوره إلى درجة يصبح معها دولة ، فذلك أمر يتوقف فى الدرجة الأولى على حماسة اليهود وعزيمتهم . وقد قال لنا المستر لويد جورج الذى كان رئيساً للوزارة فى ذلك الحين ، فى معرض الشهادة :

« لقد كانت الفكرة ألا يعمد فى معاهدة الصلح ، إلى إقامة دولة يهودية فوراً ، دون الرجوع إلى رغبات أكثرية السكان . وهذا هو التفسير الذى فسر به التصريح فى ذلك الحين . ومن الجهة الأخرى كان فى النية أنه متى حان الوقت لمنح فلسطين مؤسسات تمثيلية (أى برلمانا) ، ووجد أن اليهود قد اغتنموا الفرصة التى تبيحها لهم فكرة الوطن القومى ، وأصبحوا فى غضون ذلك يؤلفون أكثرية السكان ، فعندئذ تصبح فلسطين دولة يهودية » .

من هذا وضح الخفاء ، وصار معنى إنشاء الوطن القومى اليهودي في فلسطين هو العمل على تكوين دولة يهودية ، لا وطن روحى كما كانوا يقولون . ولهذا كانت مساعدة الهجرة لتمكين اليهود من أن يكتسحوا فلسطين ، و يمتلكوا أراضيها . وهذا هو السبب فى مخالفة ميثاق عصبة الأمم ، وعدم إعطاء فلسطين حكمها الذاتى إلى أن يتمكن اليهود من الحصول على الأكثرية وتكوين دولتهم .

وجاء فى تقرير لجنة « بيل » أيضا ما يأتي :

« فرغبة الزعماء العرب الملحة فى الحصول على الاستقلال القومى فى سنة ١٩٣١ هى نفس الرغبة التى كانت تملكهم سنة ١٩٢٠ . والسبب الرئيسى فى اتخاذهم الموقف العدائى من الوطن القومى فى سنة ١٩٣١ كما كان فى سنة ١٩٢١ اعتقادهم بأن هذا الوطن قد سد الطريق دون تحقيق تلك الرغبة . وقد يغيب عن البال أحيانا أن وفداً عربياً يترأسه رئيس اللجنة التنفيذية العربية قدم إلى لندن فى مارس سنة ١٩٣٠ ، وهو الشهر الذى نشر فيه تقرير « لجنة شو » وأن العرب حسب الخلاصة الرسمية للمحادثات ، التى جرت بين أعضاء الوفد ورجال الحكومة شرحوا قضيتهم فى أثناء هذه المحادثات ، لا فيما يتعلق بشراء الأراضى والمهاجرة فحسب ، ولكن

فى مسألة الحكم الذاتى أيضا ، وأن جواب الحكومة لهم كان يدور حول النقطة الأخيرة . وهذا ما جاء فى الخلاصة الرسمية بصدد ذلك :

« لقد قيل للوفد إن التغييرات الدستورية الشاملة التى طلبها لا يمكن قبولها بالكلية ، لأنها تجعل القيام بالتزام حكومة جلالته حسب صك الانتداب مستحيلاً . وقد أوضح أنه لا يمكن البحث فى اقتراحات لا تتفق مع مقتضيات الانتداب . وبما أن تنفيذ رغبات الوفد العربى بخصوص الحكم الديمقراطى يجعل قيام حكومة جلالته بمسئولياتها كدولة منتدبة على فلسطين مستحيلاً . وبما أنه بالرغم من الشرح والتأكيدات المعطاة من قبل وزراء جلالته لم يتمكن الوفد أن يرى سبيلاً لتعديل موقفه ، فقد أصبح من الواضح أنه لا فائدة ترجى من مداومة البحث فى هذه المسألة »(١)

ومما يوجب الأسى أن مؤتمرات عربية انعقدت فى القدس أيام الانتداب البريطانى ، وتقرر فى أحدها إقامة جامعة عربية هناك أسوة بالجامعة اليهودية التى ساهمت بريطانيا فى إنشائها من قبل ، وتنفيذاً لقرار المؤتمر سافرت مع سماحة مفتى فلسطين الأكبر السيد محمد أمين الحسينى

(١) راجع أيضا كتاب (قضية فلسطين) تأليف السيد نجيب صدقه، وكتاب قضية فلسطين العربية ، وضع الهيئة العربية العليا .

إلى «عمّان» ، ومنها عبر الصحراء إلى بغداد ، فأكرم المغفور له الملك فيصل الأول وحكومته وفادتنا ، وتكوّنت هناك لجان لجمع شيء من المال تحت رعايته . وبعد أن أقمنا في بغداد خمسة عشر يوماً . وفي البصرة يومين في ضيافة حكومة العراق ذهبنا بالباخرة إلى مدينة كراتشي أيام الحكم البريطاني ، فوصلنا إليها في ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ .

أقمنا في شبه القارّة الهندية نحو خمسة أشهر ، جسنا فيها خِلالها في فصل القيظ المحرق ، وسعينا في تكوين لجان من مسلمي الهند تستولى على ما يجمع من تبرعات وترسله إلى مصرف في فلسطين دون أن يكون لنا أي تدخل في جمع التبرعات ، فإننا قررنا أن نكون دُعاة لا محصلين .

ولقد قوبلنا بالحفاوة والتكريم في تلك البلاد ، وتألفت من كبار القوم وأثريائهم لجان لجمع التبرعات ، ووعدنا الأمراء والوزراء والأغنياء بالعون والتأييد ، ودعانا نائب الملك وحكام الأمارات من انجليز وغيرهم إلى مآدب رسمية وغير رسمية — لكننا بعد أن قضينا شهوراً عدة لم نلحظ تنفيذاً لما وُعدنا به من قبل — وكنا في حيرة من هذا التناقض ، إلى أن أطلعنا كبير مسئول على كتاب رسمي سرّي من السلطة البريطانية إلى المسئولين في البلاد ؛ مفاده أن رجال الوفد الفلسطيني هم من العظماء الذين

يجب حُسن استقبالهم والحفاوة بهم ، لكن جمع المال لمشروعهم يتعارض وسياسة حكومة جلالته فى فلسطين . . . ويسهل على القارئ بعد هذا أن يعرف النتيجة المحتومة لمشروع تعليمى إنسانى تراه بريطانيا معارضاً لسياسة انتدابها على فلسطين .

* * *

وهناك مسألة أخرى — نوّهنا عنها فى المقدمة ولا بد من تفصيلها — تدل على اندفاع بريطانيا فى العمل لتكوين دولة إسرائيل قبل أن يحتضنها ترومان .

ذلك أن المؤتمر البرلمانى العالمى للبلاد العربية والإسلامية قرر كما سبق القول تأليف لجنة منى ومن ثلاثة من أعضاء المؤتمر البارزين للذهاب إلى انجلترا ، كى نقنع ولاة الأمر بعدم الاسترسال فى مناهضة العرب ، فذهبت مع زميلى السيد خليق الزمان والسيد عبد الرحمن صديقى بالباخرة إلى انجلترا عن طريق فرنسا ، على أن يلحق بنا فى انجلترا السيد الكبير فارس الخورى عن طريق دمشق — استامبول . وكم كانت دهشتنا عظيمة عند ما أبرق إلينا من استامبول بمنعه من مواصلة السفر ببرقية أفهمتنا تدخل انجلترا للحيلولة بينه وبين استمرار سفره . وليست هذه هى العقبة الوحيدة التى

وضعها الإنجليز أمام هذا الوفد . فإنا بعد أن وصلنا لندن وطلبنا مقابلة رئيس وزرائها ووزير خارجيتها ، أخبرنا بعدم إمكان مقابلة أحد من رجال الحكومة البريطانية لوفد من المؤتمر العربى بصفة رسمية ، وكانت حجتهم أن مجلس الوزراء قرر قبل بضعة أيام قراراً بشأن فلسطين لا يمكن العدول عنه ، ولا المناقشة فيما يخالفه .

وهذه هى عقبة ثانية أقامتها انجلترا فى وجه الوفد .

لم أر إزاء هذه الحالة سوى أن ألجأ إلى سفير مصر هناك ، وقد كان الدكتور حسن نشأت ، الذى أكرم وفادتنا مدة إقامتنا ، وسعى لدى ولاة الأمور حتى أخبروه بإمكان مقابلتى بمفردى و بصفة غير رسمية كعضو فى مجلس الشيوخ المصرى ، وأن تكون المقابلة مع وزير المستعمرات وكان وقتئذ مستر « ملكولم ماكدونالد » نجل مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزارة السابق . ورفضت الحكومة مقابلة العضوين الآخرين .

*
* *

وأمام هذه الحالة وباتفاق مع زميلىّ رضيت بمقابلة وزير المستعمرات بصفة شخصية علىّ أقنعه بشىء فى مصلحة فلسطين . وكان ذلك فى خريف سنة ١٩٣٨ بوزارة المستعمرات .

وتلقانى الرجـل بكل ترحاب واحترام ، ومكثت معه زمناً ليس بالقصير عرضت فيه حق فلسطين فى معاونة انجلترا لها ، كما ذكرت له أن مصلحة انجلترا نفسها مادياً وأدبياً أن تـكون فى جانب العرب ، أصحاب الحق ، وهم ملايين كثيرة فى بقاع متلاصقة ، ويمكن أن يكونوا يوماً ما عضداً للسلام العام ، ونصيراً للحكومات التى تسعى فى حرية الأمم ومنها انجلترا . وأذكر أنى أدليت إليه بما يفيد أن اليهود يسعون لمصلحتهم ، غير ناظرين إلى مصلحة غيرهم ولو كانت انجلترا ، وأن على انجلترا أن تختار أحد أمرين : إما سواعد الملايين من العرب ، وإما ذهب اليهود . فابتسم وودعنى أحسن توديع ، بعد أن دعانى لسماع خطاب له عن فلسطين يلقيه بعد يومين أو ثلاثة فى مجلس العموم . وفى الغد أعطانى أحد نواب الإنجليز تصريحاً بحضور مجلس العموم فذهبت فى الموعد المضروب ، وأجلسونى وحدى فى شرفة ممتازة ، ورأيت فى الشرفتين المجاورتين عـدة أشخاص أيقنت أنهم من كبراء اليهود . وأتى دور وزير المستعمرات فتكلم كلاماً مستفيضاً تحدوه الفصاحة واللباقة ، وكله يرمى إلى الرغبة فى التوفيق بين مصالح العرب ومصالح اليهود ، وليس فيه سوى البلاغة والتطمين ، دون إبداء أى رأى إيجابى محدد . وانتهى الأمر على ذلك وكانت هـذه هى

الملاحظة الثالثة التي أخذتها على السياسة البريطانية .

أقمنا في لندن أكثر من أربعين يوماً ، نسعى في بث الدعاية . وكان لفلسطين مكتب هناك ، قابلنا فيه مراراً مكاتبي الصحف الكبرى في انجلترا مثل التايمز والديلي تلغراف وغيرهم . كما لقينا فيه بعض كبار الإنجليز من سيدات ورجال ، ورأيت ممن قابلناهم عطفاً ظاهراً على عرب فلسطين، لم أتمالك بسببه من الجهر للحاضرين بأن الشعب البريطاني أفضل عندي من الحكومة البريطانية . وانتهت رحلتنا كما ترى على غير ما نرجو بفضل السياسة التي كانت تنتهجها بريطانيا في تلك الأوقات .



أظهرت الحوادث التي سبقت وعد بلفور ، والتي عاصرته ، والتي أعقبته ، الأسباب التي دعت إلى صدوره . كما أماطت اللثام عن المعنى المقصود من ألفاظه . فقد ثبت من أقوال اليهود أنفسهم ، ومنهم الدكتور حاييم وايزمان « أن اليهود كانوا في مداولات مستمرة مع كبار رجال الإنجليز . ومنهم بلفور وتشرشل ولويد جورج واللورد كيرزون . وكان يناصر الدكتور « حاييم وايزمان » في مفاوضاته لفيف من اليهود الإنجليز

أمثال اللورد روتشيلد واللورد ريدنج . وأن أساس المداولات كان خلق دولة يهودية فى فلسطين ، تحت حماية انجلترا . كما ثبت أن هـذا الغرض صادف هوى لدى الاستعماريين من الإنجليز ، زاعمين أن هذا يثبت إقدامهم فى بقعة لم تـكن لهم ، بقعة تنسلخ من السلطنة العثمانية — وهى فى حرب معهم — وتخرج من حوزة العرب الذين خاضوا غمار الحرب ضد تركيا ، ليفوزوا باستقلال بلادهم عن الترك وعن الإنجليز . وقد رجحت كفة الاستعمار ، وأدى ذلك إلى التفاهم السرى الذى تم بين اليهود والإنجليز الاستعماريين ، على ألا يظهر هذا التعاقد الخفى إلا بعد أن تلوح للغرب بوادر الظفر والنصر على الألمان وحلفائهم . وبشرط أن يكون التعبير — عن هذا الاتفاق فى تصريح بلفور — بكلمات مبهمة مطاطة ، لا تزعج العرب حتى تنتهى الحرب ، وعندئذ ينفذ الفريقان الإنجليزى واليهودى ما أرادوه تباعاً . وهذا ما ظهر جلياً فى تحقيق اللجنة الملكية (لجنة بيل) مع تشرشل ولويد جورج .

فلقد أبان تحقيق هذه اللجنة بما لا يحتاج إلى دليل الأمور الآتية :

أولا : الاتفاق على إنشاء دولة يهودية فى فلسطين .

ثانياً : التمهيد لهذه الدولة بشراء الأراضى ، وإنشاء المستعمرات اليهودية

ثالثاً : أن يهب الإنجليز أراضى حكومة فلسطين إلى اليهود .

رابعاً : تشجيع الهجرة ليتدفق اليهود على فلسطين ، ومنع إقامة حياة نيابية حتى يصبح اليهود أكثرية فيها .

خامساً : تدريب شباب اليهود على الأعمال العسكرية ، وإلحاقهم بالجيش البريطانى كمحاربين كى يكونوا قادرين على صد أى اعتداء عربى .

سادساً : تعيين لجان تحقيق متعاقبة لتهدئة نفوس العرب ، وإعلان بيانات ومشاريع ، وإصدار كتاب أبيض لكل لجنة يكون بعضها مانعاً لهجرة اليهود بلا قيد ولا شرط ، كما يمنع بعضها الهجرة بعد مدة معينة ، ويحبذ بعضها تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وينوه عن تبادل السكان وغير ذلك من الآراء التى طفحت بها تقارير لجان التحقيق المختلفة وغيرها ، وقصد بذلك كله تخدير العرب وإعطاء الفرصة لليهود لتنفيذ مآربهم .

*
* *

ومما يؤلم النفوس حقاً ، أن يكشف التاريخ بعد سنوات عدة عن حقيقة مرامى تصريح بلفور ونيّات من وضعوه ، فقد وضح أنه كان مهزلة لا تشرّف من أبرموه ، ومأساة تاريخية اقترفها رجال عظماء يهيمنون على سياسة دولة عظيمة ، كان واجبهم الأول والأقدس صيانة تاريخ بلادهم من الشوائب .

إن سياسة البريطانيين كانت ترمى إلى بسط سلطانهم على فلسطين ، آملين أن يستقروا فى بقعة من الشرق الأدنى ، تكون لهم مركزاً استراتيجياً ممتازاً يسيطرون به عليه . وقد دفعتهم شهوة الاستعمار إلى محاباة اليهود ، محاباة وصلت إلى حد التنكيل بالعرب كلما ثاروا ذياداً عن حرّياتهم وبلادهم ، فكان العسف والسجن والتقتيل نصيبهم ، بينما اليهود لم ينلهم شىء من عقوبة مهما أسرفوا فى اعتداءاتهم .

***

استمرت الهجرة اليهودية المتفق عليها ، واستمر شراء الأراضى ، وازداد سلطان اليهود ، وحصنوا مستعمراتهم . ويظهر أن الاستعمار الانجليزى قد تخبط أخيراً فى سياسته نحو اليهود والعرب ، فتلكأ نوعاً ما فى تنفيذ رغبات اليهود ، وظن هؤلاء أن هناك فكرة تقسيم فلسطين بينهم وبين العرب ، فى حين أنهم يريدون اغتصاب البلاد كلها ، فثاروا على الانجليز أنفسهم ، وأذاقوهم العذاب ، واختطفوا من رجالهم من اختطفوا ، وجلدوا من ضباطهم من جلدوا ، وقتلوا من قتلوا ، ونسفوا من الدور والمركبات وقاطرات السكك الحديدية ما نسفوا ، حتى أصبح مركز الانجليز هناك لا يطاق .

وقد وصل أمر اليهود فى بطشهم بالانجليز ، أن يهوديين أتيا إلى مصر ، وقتلا فى القاهرة اللورد (موين) وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط ، في نوفمبر سنة ١٩٤٤ أمام داره ، ولولا مرور أحد رجال البوليس المصرى مصادفة ومطاردته للقاتلين والقبض عليهما ، لرفع الانجليز عقيرتهم ، واتهموا مصر بارتكاب هذا الجرم الفظيع وطالبوا بالتعويضات ، لكنهم لم يحركوا ساكناً ضد اليهود بعد القبض على القاتلين والحكم عليهما بالإعدام من محكمة مصرية .

كذلك فعل اليهود بالكونت (برنادوت) السويدى الذى ندبته هيئة الأمم لإيجاد حل لمشكلة فلسطين ، وكان ذنبه أن اقترح تقسيمها بين العرب واليهود ، تقسيما لم يرض أطماع اليهود ، فاغتاله هؤلاء فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، ولم تعوق هذه الجناية البشعة تنفيذ مآرب اليهود .



من هذا يتضح أن بريطانيا — صاحبة تصريح بلفور — عجزت عن الاحتفاظ بهيبتها ، بعد أن قويت شوكة اليهود ، وآزرتهم الولايات المتحدة الأمريكية ، واحتضن (ترومان) الصهيونية و باركها . وعندئذ سلمت بريطانيا بما ليس منه بد ، وطوت ثوب الانتداب عن فلسطين نهائيا ، وسلمتها

لا إلى أهليها العرب الذين كانت بلادهم « أمانة مقدسة فى عنق المدنية » وإنما إلى الصهيونيين الغاصبين . وخرج المستعمرون من تلك الديار غير مشكورين من أحد .

بين الحربين العالميتين

معاهدة فرساى

لم يقف تأثير الماسونية عند الأحداث المختلفة التى وقعت منذ قيام الثورة الفرنسية الكبرى وما أعقبها من ثورات إلى نهاية القرن التاسع عشر ، بل كان لها الأثر البالغ فى أكبر حادث وقع فى أوائل القرن العشرين ، وهو الحرب العالمية الأولى التى شبّت سنة ١٩١٤ كما قلنا ، واختتمت بمعاهدة فرساى ، تلك المعاهدة التى أعدت قبل إبرامها بوقتٍ طويل ، عن طريق مفاوضات خافية على الرأى العام ، أجريت فى مؤتمرات ماسونية ، كالمؤتمر السرى المشهور الذى عقدته الجمعيات السرية للحلفاء والدول المحايدة بمحفل الشرق الأعظم بباريس فى ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ يونية سنة ١٩١٧ — أى قبل وعد بلفور بأربعة أشهر — والذى يمكن الاطلاع على نص محاضره فى الكتيب الذى نشره الكونت دى بونسان بعنوان

« جمعية أمم دولية ماسونية » . ويتجلى لقارئ هذا المستند أن الخطط التى وضعتها الماسونية سنة ١٩١٧ قد حققت أغراضها كاملة تقريباً .

والعمل الجدى للماسونية يتم بتدخل صامت خفى ، والماسونى يخفى دائما حقيقته وبذلك يمكنه التهرب من كل مسئولية . وكلمات الأخ الماسونى (رحيس) فى محفل الشرق الأعظم بفرنسا فى عام ١٩٢٨ جد واضحة ، ولها مغزاها فى هذا الموضوع ، إذ قال :

« بحافز من محفل الشرق الأعظم — كما أوضحت — علينا أن ندرس فى هيا كلنا المحفوفة بالصمت والسكينة ، جميع المسائل المتعلقة بحياة المدن والأمة والإنسانية ، وأن إخواننا سيزوّدون بمعلومات وافيــة ، وسوف لايغادرون هذا المحفل إلا وهم على علم تام ومجهزون للـكفاح ، إلا أنهم سيودعون فى محفلهم مسوحهم وصفاتهم ... وسينزلون إلى المدن كمواطنين عاديين ، ولـكنهم مشبعون بروحنا ، وسيقوم كل منهم بعمله فى بيئته المهنية ، وفى حزبه ، ونقابته ، بوحى ضميره ، ولـكنى أعود فأكرر أنهم يستوحون فى ذلك تعليمات يتلقونها . وستكون النتيجة مثمرة ، إذ يتسرب النفوذ الماسونى رويداً رويداً فى كل مكان ، وسيذهل العامة حين يرون النتائج المحتومة لهذه الروح ولهذا التماسك ، وتطغى هذه النتائج على أذهان

العامة المذهولين صائحين : « فوق جموعنا بأسرها تحركنا قوة لا يمكن إنكارها . هذه القوة هى الماسونية ، القوة الروحية » (١)

ولقد أتت معاهدة فرساى متفقة مع أغلب الأسس التى وضعها هذا المؤتمر اليهودى . أتت شديدة الوطأة ، باهظة التكاليف على ألمانيا وحليفاتها ، بل على فرنسا نفسها ، وتبخرت مبادئ الدكتور ولسون الأربعة عشر ، كما ذابت الوعود البراقة التى طالما أعلنها لويد جورج وكليمنصو . وهذا يدل على أن قوة الصهيونية ، كانت أعظم من مبادئ هذا الثالوث المكون من ولسون ولويد جورج وكليمنصو ، ذلك الذى أدار الحرب العالمية الأولى ، مع أن الدكتور ولسون لم ينجح فى إنهاء الحرب إلا بفضل مبادئه الأربعة عشر ، وهى مبادئ الإنسانية ، وحق كل أمة فى تقرير مصيرها ، وقد أعلنها إبان الحرب للعالم عامة ، وللألمان بصفة خاصة ، فسرت بينهم وتغلغلت فى نفوسهم واعتقدوا صحتها ، وآمن بها الشعب الألمانى والجيش الألمانى وقت أن كان قويا يحتل أراضى فرنسا وغيرها ، ورجع إلى بلاده محتفظا بكرامته ، يطالب هو وقائده الأكبر هندنبرج بإنقاذ الإنسانية حتى لا يكون هناك غالب ومغلوب . ولكن القوة اليهودية سرعان

(١) راجع رسالة بدائيات التى مر ذكرها .

ما أسقطت تلك المبادئ كما أسقطت الدكتور ولسون نفسه ، وأسقطت معها وعود لويد جورج وكليمنصو .

كانت المساعى فى وضع معاهدة فرساى محوطة بتدبيرات الصهيونيين، الذين ساعدتهم انجلترا فى ذلك الوقت . فقد أرسلت اللورد ريدنج اليهودى سفيراً لها ومندوباً فوق العادة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاتفاق مع اليهود المحيطين بالرئيس ولسون على المسائل السياسية والاقتصادية الدقيقة، التى نجمت فى الأشهر الأخيرة عن الحرب ، ولتحديد مبادئ الصلح فى هذه المسائل .

وهؤلاء اليهود الأمريكيون الأقوياء المحيطون بالرئيس ولسون كانوا : السفير مورجانتو ، والبنكير الكبير يعقوب شيف ، والقاضى برانديز ، والأستاذ فرانكفورتر .

ولا يخفى أن ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب الأولى ، وفرار الإمبراطور غليوم الثانى إلى هولاندا ، وقعت فى أيدى اليهود . ودليلنا على ذلك أن وزير خارجيتها «هاس» ووزير ماليتها «شيفر» ووزير داخليتها «بروس» كانوا يهوداً . كذلك بروسيا — وهى القسم الأكبر من ألمانيا — كان كل وزرائها من اليهود . وكان « كورت اسنر » اليهودى حاكماً على بافاريا .

وحكم « بيلا كوهين » اليهودى هنغاريا ، ولم يدم حكمه طويلا نظراً لطغيانه الفظيع . كما كان لليهود أكبر النفوذ فى النمسا موطن هتلر .

ومما يثير الدهشة ، أن الوفد الألمانى الذى ذهب إلى باريس فى مفاوضات الصلح كان كل أعضائه من اليهود . ومنهم « أوسكار أوبنهيمر » ، و « ماركس واربورج » وهذا الأخير أخ لصهر البنكير الأمريكى اليهودى « يعقوب شيف » سالف الذكر .

ورأى الألمان من وطأة مشروع معاهدة فرساى وشدتها ، وعنجهية كليمنصو وحلفائه ما أدهشهم وأذهلهم . وحاول مندوبوهم أن يتكلموا ، ويتناقشوا قبل توقيع المعاهدة ، لكن كليمنصو قال لهم « إنكم جئتم هنا للتوقيع لا للنقاش » فاضطروا إلى توقيعها وهم صاغرون .

وبالجملة فإن معاهدة فرساى لم تكن فى صالح المنتصرين ولا المهزومين . وإنما كانت إيحاءاً يهودياً صرفا ، يحقق مصالح المصارف اليهودية الكبرى وشركات الاحتكار العالمية — تلك التى أثرت من الحرب — ومصالح المكتنزين للذهب فى العالم .

وقد اعترف « إسرائيل زانجويل » الزعيم الصهيونى المعروف أن عصبة الأمم كانت إيحاءاً يهودياً صرفا . وقال « لوسيان وولف » مندوب

الجمعيات اليهودية الذى حضر اجتماع مجلس عصبة الأمم فى جنيف :

« إن هذه العصبة تتفق قراراتها مع أنبل التقاليد اليهودية وأقدمها » وأن واجب اليهود المقدس أن يؤيدوا هذه العصبة بجميع الوسائل الممكنة(١) » .

* * *

كل هذا أذهل الألمان ، وأوجد فى نفوسهم حسرة ، وغرس فيهم الحقد وفكرة الانتقام ، فصمموا على الكفاح ، والأخذ بالثار عند سنوح الفرصة .

ولا ريب أن هذا هو السبب فى ظهور (هتلر) ، بل هو السبب فى نشوب الحرب العالمية الثانية .

كما أن معاهدة فرساى سببت انقسام أوربا إلى ثلاث كتل مسيحية متعادية : حلفاء الغرب . ثم ألمانيا ومعها أوربا الوسطى . ثم روسيا الشيوعية . وهذا ما تبتغيه قرارات حكماء صهيون والماسونية لتحطيم العالم المسيحي وبالتالى لتحطيم العالم كله ، حتى يقتتل المسيحيون ، ويقضى بعضهم على

(١) انظر مقدمة كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جراسيه لسنة ١٩٣٧ .

بعض ، و يسود اليهود ، و بهذا ظفرت الصيهونية بغنائم كثيرة ، ووطدت سلطانها الخفى ، وأحكمت سيطرتها الاقتصادية على العالم .

و إن من يمعن النظر فى معاهدة فرساى وشروطها وملحقاتها ، وما خلفته من مآس واضطراب عالمى ، سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع . لا يشك فى أنها كانت وحياً يهوديا صهيونياً ، ألقى على رجال الحكم فى انجلترا وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى و إن كانت خفيفة الوطأة نوعاً ما على انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية — بسبب مساعدتها للصهيونيين — إلا انها جرت على الشعوب الأخرى ، وخاصة ألمانيا والنمسا وفرنسا ، الضنك والفقر والاضطراب . وذلك كله كان السبب الرئيسى فى قيام (هتلر) وأتباعه للأخذ بالثأر من هذا العالم الظالم ، الذى قاده الصهيونيون ، وأوقعوا كثيراً من أممه فى هوة سحيقة .

وكان طبيعياً أن يشيد الصهيونيون بهذه المعاهدة ، و يعلنوا فى مؤلفاتهم وصحفهم أنها معاهدة عدل ، تتفق والفضيلة اليهودية والخُلُق اليهودى ، وأن اليهود جميعاً يجب عليهم أن يؤيدوها كل التأييد ، وما ذلك كله إلا لأنها وما تبعها من معاهدات كانت ترمى إلى خلق مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية متشعبة ، تؤدى إلى تسخير العالم لخدمة الماليين اليهود

والمصارف اليهودية ، والمصانع اليهودية ، والمؤسسات اليهودية ، وتساعد اليهود على تحقيق أهدافهم السياسية ، وأن من يقارن بين الفقر الذى عم البلاد المسيحية والإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى و بين الثراء العريض الذى حازه اليهود من يوم معاهدة فرساى إلى الآن يعلم حق العلم كيف كانت معاهدة فرساى وما تبعها من معاهدات ، نكبة على العالم أجمع كما كانت أكبر غنيمة للصهيونية نفذت بها ما شاءت مما تضمره نحو الإنسانية عامة ، والمسيحية بنوع خاص . وسيبقى العالم فى هذه الاضطرابات والحروب ما بقى مسيحيو العرب والشرق خاضعين فى عمى لأساليب الصهيونية العلنية والخفية ، ومؤسساتها الاقتصادية والأدبية ، والإنسانية كما يزعمون .

ولقد نشرت جريدة (المورننج بوست) اليومية — وهى من كبريات صحف بريطانيا — فصولاً عدة عن قرارات حكماء صهيون ، وعن وثائق أخرى اكتشفت ، ونوهت بأن المسئولية واقعة على اليهود ، وهى مسئولية القلق العالمى العام ، ذلك القلق الذى سبب استمرار الصعوبات السياسية والاقتصادية الناجمة عن الحرب .

ومن المؤسف أن الترجمة الروسية لقرارات حكماء صهيون لم يعن بنقلها

إلى اللغات الأخرى إلا بعد حين ، وأن بعض النسخ الروسية التي حفظت في مكتبات المتحف البريطاني في لندن لم يعرف الناس عنها شيئا ، إلى أن انتشرت ترجمة هذه القرارات ، وعرفها كثير من الناس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فأذهلت من قرأوها .

ونشرت جريدة (التيمس) اللندنية الكبيرة في ٨ مايو سنة ١٩٢٠ مقالاً عن الخطر اليهودي بعنوان « رسالة مقلقة ، دعوة إلى التحقيق » بمناسبة نشر ترجمة قرارات حكماء صهيون قالت فيه :

«لا يمكن أن يعجز أحد عن أن يكتشف روسيا السوفيتية في البروتوكولات (أي قرارات حكماء صهيون) كما أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن القوميسيرين السوفييت يكادون يكونون جميعا من اليهود ...» إلى أن قالت : « من أين يتأتى الاستخفاف بملاحظة نبوءة القرارات، وقد أنجز جانب منها، على حين أن جوانب منها في طريق الإنجاز؟ هل كنا نقاتل طوال هذه السنين الفاجعة لننسف ونستأصل التنظيم السري لسيطرة ألمانيا على العالم ، لغير هدف إلا لنجد تحته خطراً آخر أعظم، لأنه أشد خفاء، هل تخلصنا بتوتير كل عرق في جسم وطننا من « سلم ألماني » لغير شيء إلا لنتورط في « سلم يهودي »[1] .

---

(١) انظر كتاب الخطر اليهودي للسيد محمد خليفة التونسي .

هذا عرض موجز ينبئك بما تبيّته الصهيونية ، وقد نجحت نجاحاً كبيراً ، وأوجدت فى أوربا تكتلات متعادية ، تبغى الصهيونية من ورائها إكمال ما قصدته من تحقيق رغباتها الجهنمية .

ظهور هتلر والنازية

والحرب العالمية الثانية

لابد لنا لاستكمال البحث من ذكر طرف من أعمال « هتلر » حتى هيّأ ظروف الحرب العالمية الثانية وممدّاتها .

أهين الألمان وافتقروا وتمزّقوا ، وضاعت مستعمراتهم وثرواتهم ، فعملوا فى صمت وحقد لاسترداد شرفهم ومكانتهم ، بعد أن تبين لهم كذب الوعود التى أعلنها ولسون والحلفاء ، فكوّنوا جمعيات ، منها جمعية انضم إليها (هتلر) ، وكان لهذا الثائر مجاله فى إلقاء الخطب وتوزيع النشرات إلى أن تكوّن الحزب النازى — أى الحزب الوطنى الاشتراكى — بزعامته . وكان فى مقدمة أعماله القضاء على الصهيونية ، وطرد اليهود من بلاده ، وإهانتهم وتعذيبهم وتجريدهم من أموالهم وجنسيتهم الألمانية ..

وقد يقف المرء حائراً أمام تلك القسوة التى قام بها هتلر وأعوانه ضد اليهود ، إذا علم أن هتلر لم يكن من المتدينين المتزمتين ولا من المتعصبين المسيحية ولا من حماتها . فما السبب فى كراهيته لليهود ، ومطاردته لهم بقسوة بالغة ؟

السبب الواضح أنه آمن هو وقومه بمبدأ عبادة الوطن الجرمانى ، ورأى أن اليهود قد نفذوا فعلا قرارات حكمائهم وخطط ماسونيتهم ، وثبت له ولأمته أن اليهود جحدوا هذا الوطن الألمانى . وذكر فى كتابه « كفاحى » أنهم كانوا شرا على الوطن ، يعملون بأساليب كثيرة ، ووسائل قاسية تهد من كيانه ، وأن من أعمالهم أنهم استنزفوا أموال الشعب بالربا الفاحش ، ومنها أنهم لم يكونوا فى المعاملات من الذين يطمأن اليهم ، ومنها أنهم أفسدوا التعليم فى دور العلم ، كما أفسدوا الفنون جميعا ، واحتكروا أو كادوا يحتكرون المصارف المالية ، والبورصات ، وبيوت السمسرة ، والشركات التجارية والصناعية ، ودور النشر والصحف والسينما ، وغير ذلك من الهيئات التى تحتكر المال وتختزنه .

ومنها أن اليهودى يأتى إلى المانيا غريبا فقيرا جائعا ، ثم لا يلبث بوسائل شاذة أن يصبح بعد سنوات قليلة من سراة القوم وأغنيائهم .

ومنها وهو المهم تدخل اليهود فى سياسة الدولة وتوجيهها . ومنها وهو الأهم لديه أن كان من اليهود عدد كبير احترف التجسس ضد الوطن ولمصلحة الأجانب .

لم لا يكون الاعتقاد الجازم من هتلر وأعوانه دليلا قاطعا على أنه فطن إلى خطر الصهيونية ، وفطن إلى تاريخ الماسونية وبرامجها الهدامة ورغبتها فى تقويض العالم !! وهو وإن لم يكن من المتعصبين للدين إلا أنه فكر بعقلية المواطن المخلص ، والإنسان الذى يريد انقاذ وطنه من الشرور التى حاقت به وبخاصة بعد أن رأى أوربا المسيحية متعادية ، منقسمة على نفسها إلى معسكرات ثلاثة : أولها الشيوعية الروسية التى خلقها اليهود ، وثانيها الرأسمالية الغربية التى يهيمن عليها اليهود . وثالثها أوربا الوسطى المغلوبة على أمرها .

وكان لليهود فى نظره سياسات مختلفة ، تبعا لاختلاف أمزجة الأمم وثقافاتها ، ولكن غايتها واحدة . ففى الشرق شيوعية ، وفى الغرب رأسمالية ، وفى الوسط تفتيت وتخريب وتجسس ، دفع الألمان إلى نظام النازية .

وهكذا تخاصم المسيحيون وتحاربوا واقتتلوا . وبفضل الدهاء الماسونى تحالفت الشيوعية الشرقية مع الرأسمالية الغربية . وقامت الحرب الثانية

وعرض هتلر على الغرب أن يتضامن معه لدفع خطر الشيوعية فرفض الغرب عرضه . وكانت النتيجة المحتومة استمرار الحرب الثانية ضد المحور (ألمانيا وايطاليا واليابان) الذى قام لمحاربة الشيوعية . ثم انهزم المحور . واليوم يندم حلفاء الغرب على ما أظهروا من ود وتحالف مع الشيوعية، وهم يحصدون الآن ما زرعوه .

ومادام هذا البله فى الساسة المسيحيين مستمرا ، فسيظل العالم المسيحى مرعى خصيبا ، تعمل فيه الصهيونية ، وتنفذ مآربها التى ستنتهى لا محالة بانحلال العالم وسيادة اليهود .

* * *

ومن غريب المشاهدات التى تحير العقول ، أن الصهيونية ، التى كانت السبب فى ثورة روسيا على القياصرة ، والتى تتحكم الآن فى الشيوعية التى ألغت المسيحية فى تلك البلاد ونشرت الالحاد فى ربوعها . هذه الصهيونية هى الآن صديقة الغرب وفيه من أصحاب الملايين والعلماء الصهيونيين، والفنانين والخبراء العدد الوفير . وفيه من الوزراء اليهود والنواب وذوى النفوذ ما لا يحصره عد . وفيه الكثير من السكرتيرين فى هيئة الأمم المتحدة ولجانها المتعددة ، كما كانوا كثرة فى عصبة الأمم القديمة . كل هذا يوجب الدهشة

والحيرة و يشعر بخطر على الغرب شديد .

وأشد من هذا كله وأنكى ، كثرة الأساتذة اليهود فى الجامعات والمدارس فى الغرب ، واشتراك العلماء اليهود فى صناعة القنابل الذرّية والهيدروجينية وأسرارها ، وهم الآن على علم بدقائق هذه الصناعة ومراكزها التى كان يجب إخفاؤها على غير المسيحيين ، فأسرار هذه الصناعة التى يتوقف عليها مصير الإنسانية أصبحت فى أيديهم وفى أماناتهم ، وليقل لنا رجال الغرب المسيحيون كم من الصهيونيون أفشوا السر ؟ وكم من اليهود ثبتت عليهم تهمة التجسس لمصلحة الأعداء ؟ .

إن الصحف ووكالات الأنباء تطالعنا من وقت لآخر بأسماء الجواسيس الذين خانوا الغرب والشرق ، وكشفوا عن أسرار القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرار الخطط والاستحكامات العسكرية ، فهل بحث المتخاصمون ، بين هؤلاء الجواسيس عن عدد اليهود الذين لا يبغون سوى تحطيم العالم كما أسلفنا ، وليست الوطنية عندهم سوى دينهم وعنصرهم ؟ هل يعتقد رجال السياسة أن اليهودى الأمريكى مواطن أمريكى حقاً ؟ أو أنه يهودى قبل كل شىء ، ديناً وعنصراً ؟ ومثل هذا يقال عن اليهودى فى بريطانيا وفرنسا وغيرها .

إنى أترك الجواب لضمير كل مسيحى مدرك لحقائق الأشياء .

ويحسن بنا فى هذا المقام إتماماً للبحث أن نورد نصوصاً قاطعة ، أثبتها يهودى ، ذو ضميروفطنة ، تبرأ من الصهيونية اسمه « الفريدليلينتال » فى كتاب وضعه بعنوان (ثمن إسرائيل) جاء فيه ما يأتى :

« قال رئيس الوكالة اليهودية بيرل لوكر (وهو مواطن أمريكى) بكل تبجح وصراحة ، تبرز سياسة الصهيونية واضحة جلية :

(. . . إن راية إسرائيل هى رايتنا . . . ومن واجبنا أن نتألم من أجل هذه الراية . وعلينا أن ننظر إلى هـــذه الراية الصهيونية التى بدأت تخفق فوق دولة إسرائيل . وكأنها تخفق فوق رأس كل منا ...... وإن كل آمالنا أن نراها تخفق فوق رأس جميع الشعب اليهودى . وذلك بعــد أن ينتهى من جمع شعث المشتتين من اليهود ضمن هذه الدولة) .

وفى اجتماع وزارى عقد يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ قال بن غوريون رئيس حكومة إسرائيل ما يأتى :

(إن أجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لــكى ترى ثمرة جهادنا ، تنحصر فى جمع ٨٠٠٫٠٠٠ يهودى فقط ضمن إسرائيل . إن واجبنا يحتم علينا أن ننقذ جميع اليهود الموجودين فى البلدان العربية والأوربية) .

وقال بن غوريون رئيس حكومة إسرائيل المذكور فى تصريح رسمى له عن أهداف الوطنية الصهيونية فى ٣١ يوليو سنة ١٩٤٩ عند ما خطب فى حفل حضره فريق من اليهود الأمريكيين ، كانوا يزورون إسرائيل :

(. . . إن من واجب يهود العالم أن يعودوا إلى وطنهم الأول . ومع أننا حققنا حلمنا الأول فى إقامة دولة يهودية ، فنحن ما زلنا فى أول الطريق ... ... فنى إسرائيل الآن حوالى مليون يهودى فقط بينما يقيم أغلبية الشعب اليهودى خارج دولتنا · وهدفنا الآن ينحصر فى حث جميع يهود العالم على العودة إلى إسرائيل . ولهذا فنحن نتوجه إلى الآباء اليهود كى يساعدونا فى إرسال أبنائهم و بناتهم إلى هذه الأرض المقدسة . وحتى فيما لو امتنع هؤلاء عن مساعدتنا فسنعمل على استقدام الشبيبة اليهودية الناشئة) .

و بعد انتخابات سنة ١٩٤٩ قال بن غوريون المذكور (علينا أن ننقذ ما بقى من شعب إسرائيل مشتتاً فى أنحاء العالم ، وعلينا كذلك أن

ننقذ ممتلكاتهم . فبغير هذين الأمرين لا يمكننا إعادة بناء هذه الدولة)[١] .

* * *

يفهم من كل ما تقدم بلا كبير عناء أن الصهيونية تعتبر اليهود المقيمين خارج إسرائيل ، سواء فى أوربا أو أمريكا أو غيرها ، طوائف مشتتين فى المنفى ، وأنهم مواطنون إسرائيليون قبل كل شىء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التى يسبغونها على أنفسهم . وفى هذا القدر كفاية .

(١) هذه النصوص منقولة عن كتاب « ثمن إسرائيل » لا لفريد ليلينتال الأمريكى اليهودى وقد نقله إلى العربية السيدان حبيب نحولى وياسر هوارى .

مأساة فلسطين

إذا أصاب الإنسان فى شؤونه الخاصة بلاء ، أخذ يبحث أسبابه ، ويتدارس نتائجه ، ويحاسب نفسه على ما فرط منها ويندم على أن فعل ما وصل به إلى هذا البلاء ويقول : ليتنى لم أقترف ما أوقعنى فى الخطل ، ونأى بى عن النجاح والتوفيق .

هذا شأن الفرد ، فما بالك بالأمة وهى مجموعة من الأفراد . بل هى مجموعة من الأجيال ، ومن الذكريات ، ومن التاريخ ، ومن الحضارة التى تحرص الإنسانية على الاحتفاظ بها ، لأن فيها خيراً للبشر ونفعاً لبنى الإنسان .

وما بالك بأمة عزيزة على كل عربى ، عزيزة على كل مسلم ، لأنها قلب ، وكل بلد عربى جسد . ولأن فيها من التراث الدينى والتاريخى ما يجب أن نصونه ونحميه من كل عدوان وأذى .

تلك هى فلسطين ، وقد حل بها البلاء الذى نحس به جميعاً ، ويحز فى نفوسنا ويقض مضاجعنا . حل بها بلاء مضن عنيف ، أريد به فناؤها ، وليس بعد الفناء بلاء .

ومن الواجب علينا أن ندرس الأسباب التى جرت على فلسطين هذا البلاء ، حتى نتعرف الأمور ، ونقف على الحقائق جلية ، لتكون درساً حياً لكل فرد ولكل أمة ولكل شعب فى الحاضر والمستقبل . أن الحياة عبر وعظات فإذا لم تحركنا هذه العظات والعبر إلى مافيه خيرنا كنا غير جديرين بحياة كريمة .

وأرى لزاما علىّ — وقد اهتممت بقضية فلسطين مدى ربع قرن — أن أعرض الحقائق التى عرفتها عن خبرة ، ولمستها بعد بحث ودراسة وتمحيص .

جامعة الدول العربية :

سكن أهل فلسطين بلدهم من بدء التاريخ ، ومن قبل ظهور الإسلام والمسيحية . وقد أرادت الصهيونية أن تعبث بوجودهم فى هذه الأرض ، فكان تصريح بالفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ . وأراد أهل البلاد العربية أن يصونوها من هذا العبث ، وأن يكونوا يداً واحدة فى دفع البلاء ، ودعاهم هذا إلى تكوين جامعة الدول العربية ، وتم التوقيع على بروتوكولات الاسكندرية فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وتم التوقيع على

ميثاق الجامعة فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ، وتعاهد المتعاقدون فى ميثاق الجامعة أن يتضامنوا فى الحفاظ على أقطارهم ، وعلى حرياتهم واستقلالهم .

ودعما لهذه الغاية النبيلة ، اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية فى قصر « زهراء انشاص » فى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ ، وصدر فى هذا الاجتماع قرار إجماعى ملخصه « إن قضية فلسطين ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، وإنما هى قضية العرب جميعاً ، وأن فلسطين العربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها » .

وتوالت الأحداث وصدر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ مع الأسف قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود . فثار عرب فلسطين احتجاجاً ، واشتدت ثورتهم ، وقدموا أموالهم وأرواحهم ، فداء لحرية وطنهم .

وفى ١٢ أبريل سنة ١٩٤٨ وثورة فلسطين مستعرة الأوار ، وفد رؤساء الدول العربية إلى مصر لحضور اجتماع اللجنة السياسية ، ووقعوا جميعاً قراراً نصه :

« إذا دخلت جيوش عربية فلسطين لانقاذها ، فيجب أن يفهم صراحة أنه يجب النظر إلى هذا التدبير كل مؤقت خال من كل صفة من

خطات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين . وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون » .

وفى ١٣ أبريل سنة ١٩٤٨ أدلى المغفور له الملك عبد الله فى عمان فى وفد من لاجئى فلسطين ، بتصريح نشرته الصحف اليومية جاء فيه :

« وأشهدكم الله أنى لا أطمع فى فلسطين ، ولا أبغى ضم جزء منها إلى بلادى ، لأنى سأدخلها مع بقية الجيوش العربية ، لتحرير تلك البلاد العربية العزيزة . وبعد أن يتم لنا ذلك سنترك لكم مهمة تقرير ما ترونه ملائماً ومناسباً . فإذا وجدتم أن مصلحتكم تقضى عليكم بالانضمام إلينا ، فأننا نرحب بذلك كل الترحيب . وإنى أطمئنكم كل الاطمئنان على ذلك إذ لا يوجد أردنى واحد تظله بلادى يرضى باغتصاب فلسطين بعد تحريرها » .

وفى ١٤ أبريل سنة ١٩٤٨ علق المغفور له الملك عبد الله على البيان الذى صدر فى اجتماع زعماء انشاص بقوله :

« ليس الوقت وقت فتح أو طمع لأية دولة من دول الجامعة ، ولكنه وقت جهاد وصبر وتنظيم . وإذا أدخلت الدول العربية جيوشها فلسطين فلا شك أن هذا لا يكون إلا بإجماع منها وتحمل المسئوليات كلها . وبعد

إنقاذ هذه البلاد ففلسطين هي فلسطين . ولأهلها الكلمة الأخيرة فيما يعود عليها بلا إكراه ولا إجبار .

حرب فلسطين :

استفحل شأن الصهيونية في فلسطين ، واعتدوا على حقوق العرب وأمنهم وسلامتهم . فدفع هؤلاء العدوان بالقوة . وقررت الحكومات العربية الوقوف بجانب الفلسطينيين في الذود عن حريتهم ، وفي حمايتهم من طغيان الصهيونية ، التي تريد طرد هذا الشعب العربي من دياره التي سكنها وحماها منذ آلاف السنين .

وقضت بعض الظروف والملابسات ، أن تعين الحكومات العربية جلالة الملك عبد الله قائدا أعلى للجيوش العربية .

وأود أن أنبه إلى أن نكبة فلسطين كانت بأسباب وعوامل كثيرة ، لاكها الناس في الأندية وسطرتها الصحف في أخبارها ، أهمها :

أولا : تواطؤ بعض الدول وعلى رأسها انجلترا وأمريكا للقضاء على فلسطين واعطائها لليهود ومساعدتهم بالمال والسلاح والذخيرة ، وهذا العمل تقع مسئوليته على تلك الدول ، وخاصة انجلترا ، التي عبثت بوصايتها على

فلسطين ، ثم أمريكا التى ساعدت اليهود بالمال والسلاح .

ثانياً : ما قام فى الأذهان من أن الدول العربية كانت فى سبات عميق ، ولم تكن مستعدة لخوض غمار هذه الحرب والدفاع عن فلسطين .

ثالثاً : ما عرف من خيانات فى شراء أسلحة فاسدة ، أوقعت البلاد العربية فى ورطة كبرى .

رابعاً : اختيار الملك عبد الله قائداً أعلى للجيوش العربية . واعتقادى أن هذا الاختيار كان أكبر نكبة على فلسطين ، وكان خطأ جسيماً لا يغتفر وقعت فيه الحكومات العربية . لا لأن المرحوم الملك عبد الله أساء إلى الوكالة التى أعطيت له ، وإنما لأن الأردن كان وما زال محتلا بالإنجليز ، وكان قائد الجيش فيه « جلوب » الانجليزى . وما كان فى مكنة الملك عبد الله أن يعارض تصرفات هذا القائد وانجلترا تحتل بلاده وتساعدها ماديا لتحتفظ بكيانها الاقتصادى . وكل هذه الظروف كانت تحتم على الدول العربية ألا تجعل القيادة العليا للانجليز باسم الأردن ، وهى تعلم ما ينجم من مآس وأضرار باعطاء انجلترا قيادة جيوش تحارب اليهود الذين تحتضنهم هى وتدافع عنهم . إن هذا هو أفظع ما يكون فى تصرفات السياسة العربية فى ذلك الحين .

وإن من يتتبع الحوادث فى حرب فلسطين يخرج منها بنتيجتين :

إحداها — أن بريطانيا عبثت بأمانة الوصاية على فلسطين ، وسلمتها لغير أهليها .

والأخرى — وهي أشد إيلاما ، أن قوماً من العرب ظاهروا هذه السياسة ، جهلا ، أو جريا وراء مغانم الدنيا التي لا يدرون متى يودعونها إلى حياة أخرى ، لا يغني عنها مال ولا جاه ولا سلطان .

و بيان ذلك :

أولا — ترك الإنجليز فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وكان الواجب أن يردوها إلى أهلها العرب . ولكنهم لم يفعلوا ، وسلموا مدينة « حيفا » إلى اليهود . وأراد عرب حيفا أن يدافعوا عنها ، واستنجدوا بقوة أردنية كانت تعسكر حولها ، ولكنها لم تحرك ساكناً .

ثانياً — كان الجيش الأردني أقرب الجيوش العربية إلى مدينة القدس ، وكان من الطبيعي أن يزحف إليها يوم دخلت الجيوش العربية فلسطين في ١٥ مايو ، ولكنه لم يفعل ، وظل أربعة أيام لا يبدي حراكا ، بينما كان اليهود يهاجمونها بقوة حتى استولوا على أحيائها الجديدة ، وكادوا يستولون على أحيائها القديمة لولا دفاع المجاهدين الفلسطينيين ، ولولا أن الكولونيل الأردني عبد الله التل أخذ بأيديهم — مخالفاً بذلك أوامر قائد

الجيش الأردنى جلوب الإنجليزى — واستطاع المجاهدون الفلسطينيون والقائد عبد الله التل استرجاع القدس القديمة . وحينذاك دخلها الجيش الأردنى دخول الظافرين .

ثالثاً — من مدن فلسطين المهمة مدينتا « اللد » و « الرملة » وبهما أكبر مطار فى فلسطين، وهو من أكبر مطارات الشرق . واللد ملتقى سكك حديد فلسطين وخط سكة حديد الحجاز . وكان الجيش الأردنى فى هذا الوقت الذى كانت فيه الحرب دائرة بين العرب واليهود يحتل هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية . ولكن قائده الإنجليزى جلوب أمر بتجريد قوات الجهاد المقدس فيها وكذا سكانها العرب من أسلحتهم ، ثم أمر بانسحاب الجيش الأردنى ، فاحتلها اليهود دون مقاومة .

وفى هذه الفترة كان الجيش المصرى يزحف من الجنوب إلى الشمال معتمداً على معونة الجيش الأردنى فى اللد والرملة ، وكان الجيش العراقى يزحف من الشمال إلى الجنوب ، فلما انسحب الجيش الأردنى انكشف جناح الجيش المصرى ، وأصبح معرضاً لكارثة كبرى ، ولم يستطع الجيش العراقى أن يتقدم لمعونة الجيش المصرى واضطر لأن ينسحب إلى منطقة طولكرم .

رابعاً — تواترت الأنباء أن العراقيين رغبوا فى نجدة الجيش المصرى ، وطلبوا أن تمر قواتهم عبر شرق الأردن لينجدوا قوات الفالوجا ، لكن القائد جلوب عارض فى هذا ، و بقيت القوات المصرية وحدها فى الميدان .

خامساً — فى سنة ١٩٤٨ هاجمت القوة الأردنية المجاهدين الفلسطينيين فى منطقة رام الله ، وكانت تبغى الاستيلاء على مقر قيادتهم ولكنها لم تفلح فأعادت الكرة فى يناير سنة ١٩٤٩ وأرسلت قوة مصفحة استولت على المكان ، وشردت المجاهدين ، وأخذت أسلحتهم وذخائرهم .

سادساً — قررت هيئة الأمم المتحدة فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ تدويل مدينة القدس — مع أن الكونت برنادوت كان يرى ضمها إلى فلسطين العربية — وقد وافقت الحكومات العربية على تدويل القدس ، لأنها لمست تأهب اليهود للهجوم عليها ، وعدم إمكان الاعتماد على حكومة شرق الأردن فى صدهم ، فخافت وقوع القدس فى أيدى اليهود وقبلت تدويلها . أما حكومة شرق الأردن فقد عارضت تدويل المدينة ، وشذت عن إجماع الحكومات العربية . وترمى حكومة شرق الأردن من وراء ذلك إلى تسليم القدس الجديدة إلى اليهود نهائياً والاعتراف بملكيتهم لها ، على أن تكون القدس القديمة ملكا خالصا لشرق الأردن .

ولا ندرى كيف استساغت حكومة شرق الأردن فى ذلك العهد امتلاك القدس القديمة ، مع أن هذا لا يتفق مطلقا مع ما صرح به المرحوم الملك عبد الله من أنه لا يبغى منفعة شخصية أو فائدة ذاتية . ولا يتفق مطلقاً مع قرارات الجامعة العربية التى وافقت عليها حكومة شرق الأردن .

سابعاً — قامت بفلسطين حكومة عربية مستقلة ، مؤيدة من الجمعية التأسيسية التى انعقدت فى مدينة غزة ، وبادرت حكومات الجامعة العربية بالاعتراف بها إلا حكومة شرق الأردن ، فإنها لم تفعل — بضغط انجلترا طبعاً — واصطنعت مؤتمر « أريحا » وساقت إليه من أهل فلسطين نفراً ممن كانوا تحت إمرتها وسلطانها ، لا يملكون حرية القول والعمل ، ولا يستطيعون دفع الأذى عن أنفسهم فى هذه المحنة القاسية التى نكبتهم بألوان من العوز والضيق والبؤس والبلاء . وفى هذا المؤتمر ، ومن هؤلاء النفر القليل المغلوب على أمره ، بويع الملك عبد الله على ما تحت يده من أرض فلسطين ، وانتهت هذه المأساة بأن باركها وأيدها مجلس وزراء شرق الأردن فى ذلك الحين ، إذ قرر الموافقة على ما ارتآه مؤتمر أريحا (من ضم ما بقى من فلسطين إلى المملكة الأردنية) . وأبلغ القرار إلى جامعة الدول العربية ، فاحتجت على هذا القرار المنافى لجميع التعهدات التى تكونت

بمقتضاها جامعة الدول العربية ، والتى دخلت بمقتضاها الحرب لإنقاذ فلسطين من خطر الصهيونية . وقد وفّت مصر بعهدها فلم تفكر فى ضم قطاع غزة إلى أملاكها .

ثامناً — لم تكتف حكومة شرق الأردن فى ذلك العهد بتسليم منطقة اللد والرملة ، وترى قراها على خمس عشرة قرية ، إلى اليهود ، بل سلمتهم بإيعاز انجلترا بعد اتفاقية رودس فى ٣ إبريل سنة ١٩٤٩ مساحات كبيرة من منطقة نابلس — جنين — طولكرم . وفى منطقة بيت لحم — الخليل .

ومما يوجب الأسى أن منطقة نابلس — جنين — طولكوم ، كان يحتلها الجيش العراقى . ومنطقة بيت لحم — الخليل ، كان يحتلها الجيش المصرى . وقد سلم الجيشان المصرى والعراقى هاتين المنطقتين إلى الجيش الأردنى — أى إلى جلوب باشا — لاعتبارات عسكرية ، بعد أن تعهدت الحكومة الأردنية رسمياً بالمحافظة على عروبة تلك المناطق .

فهل وفّت الحكومة الأردنية فى ذلك الزمن بحفاظها على عروبة هذه المناطق بتسليمها لليهود ! !

وإن الإنسان ليدرك خطورة هذا التسليم إذا عرف مدى انفساح رقعتها، وما تحويه من مشروعات عمرانية وأرض زراعية خصبة .

فمنطقة نابلس — جنين — طولكرم تبلغ مساحتها ٥٢٥٫٠٠٠ دونم ، أى حوالى ١٣٠٫٠٠٠ فدان ، وهى من أخصب أراضى فلسطين الزراعية ، وبها أكثر من سبعة آلاف فدان من البرتقال وغيره ، وكل سكانها من العرب ليس بينهم يهودى واحد ، ويسكنون قرى عربية أشهرها : أم الفحم ومندلة والمزار والجله ومقيبلة وعار وعرعرة وباقة الغربية وقلنسوة والطيبة والطيره وكفر قاسم وجلجوليه .

ويخترق هذه الأراضى العربية خط سكة حديد بين حيفا واللد وطوله لا يقل عن أربعين كيلو مترا ، وطريق الخضيرة — العفوله ويحيط به مرتفعات لها قيمة حربية كبرى .

ومنطقة بيت لحم — الخليل ، تشمل قرى : وادى فوكين ودير الشيخ والقبو والدير وعلين والجمعة وادنا وحيسان والولجة والحنية ونصف قرية بيت صفافا وأراضى قريتى بتير وطباليا .

وسلمت الحكومة الأردنية فى هذه المنطقة أيضا معسكر العلمين وقسما من جبل المكبر المطل على القدس ، وقسما من خط سكة الحديد من محطة

القدس إلى محطة مرتوف — القريبة من الرملة — وبهذا أصبح خط سكة الحديد بين القدس واللد ويافا فى حوزة اليهود .

وسلمت خمسة وعشرين كيلو متراً من الأراضى الواقعة غربى شاطئ البحر الميت .

وحاول الأهالى العرب مقاومة الاحتلال اليهودى فى هذه المناطق ، ولكن قوات الجيش الأردنى أرغمتهم على التسليم ، وسلط عليهم جلوب من وسائل البطش والجبروت ما جعلهم يذعنون صاغرين .

تاسعاً — أثار تسليم هذه المناطق شعور العرب فى فلسطين ، وأهاج نفوسهم ، فقامت مظاهرتان كبريان فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٩ احتجاجاً ، على هذه المنكرات ، إحداهما فى نابلس ، والأخرى فى طولكرم ، فبطش الجيش الأردني — بأمر جلوب — بالمتظاهرين بطشاً عنيفاً وشتّت مظاهرتهم ، ولكنه لم يخمد ما فى نفوسهم من نقمة وغضب على فعال جلوب باشا ، من تسليم بلاد عربية إلى اليهود بدون قتال .

عاشراً — ممايزيد فى الألم أن حكومة شرق الأردن أرادت أن تجعل من ضم ما ضمته إليها من فلسطين عملاً شرعياً لا غبار عليه ، فكوّنت البرلمان الأردنى وأدخلت فيه أعضاء ليمثلوا عرب فلسطين ، وعرب فلسطين

إذا تركوا أحراراً ، وبعدت عنهم أسباب الإكراه والعنف لايرضون بمثل هذا الوضع الشائن ، الذى يمزق وطنهم شر ممزّق ، ويجعله لقمة سائغة للمعتدين والمغرضين .

والأسلوب الكريه الذى استعملته حكومة شرق الأردن — وقتذاك — فى حشد الناس لمؤتمر « أريحا » هو الأسلوب نفسه الذى أكره به عرب فلسطين فى اختيار أعضاء البرلمان الأردنى ، فعرب فلسطين مأخوذون بما حاق بهم وبوطنهم وإنسانيتهم من اضطهاد وتشريد وبؤس وامتهان . وقد قامت مظاهرتان فى (نابلس) فى ٣١ مارس وأول ابريل سنة ١٩٥٠ نشرت الصحف أنباءهما . وذكرت أن المتظاهرين من وجهاء نابلس وشبانها المثقفين ، قد سيقوا مكبلين بالأغلال ، مشاة على الأقدام ، تحت ضرب السياط ، مسيرة ثلاثين كيلو متراً ، حتى سقط عدد كبير منهم متأثراً بالظمأ والألم ، ومات أحدهم وهو المرحوم السيد « روحى زيد الكيلانى » . وبعد أن ذاقوا هذه الألوان من العذاب شحنوهم كما تشحن الماشية فى « لوريات » إلى عمّان ، وهناك أودعوا غياهب السجن ، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن تمّ للحكومة الأردنيـة — أى لجلوب — ما أراد من سلطان جديد . وتكررت هذه المآسى فى الخليل وغيرها

من بلاد فلسطين .

حادي عشر — وقد تواترت الأنباء أن جلالة المرحوم الملك عبد الله ذهب إلى « العقبة » فى شهر فبراير سنة ١٩٥٠ ، واجتمع هناك بابن غوريون رئيس وزارة إسرائيل ، على ظهر مدمرة انجليزية اسمها « ماك فاى » وانهما وقعا معاهدة صلح بالأحرف الأولى من اسميهما . وقد أنكرت حكومة شرق الأردن توقيع معاهدة صلح ، ولكن الجامعة العربية مبالغة فى الحيطة والحذر ، قررت فى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٠ فصل أية حكومة عربية تعقد صلحا منفرداً مع إسرائيل . وصدر هذا القرار باتفاق جميع الدول العربية ، ومن بينها حكومة شرق الأردن . ولما صدر قرار البرلمان الأردنى فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٠ بضم جزء من فلسطين إلى شرق الأردن ، دعيت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، و بعد المناقشة رأت غالبية الدول العربية أن فى عمل حكومة شرق الأردن مخالفة صريحة لميثاق جامعة هذه الدول و إنها تستحق بسببها الفصل من الجامعة . ورأى بعضها الآخر أن عمل شرق الأردن مخالف لقرار مجلس الجامعة ، وا كتفى بأن طلب إلى مندوبها أن تعلن أن هذا الجزء من فلسطين وديعة لدى حكومتها تردها إلى أصحابها ، ولكن حكومة شرق الأردن رفضت أن تعلن عدولها عن التملك .

نخلص من هذا كله إلى أن حكومة شرق الأردن في ذاك العهد ، بفضل ضغط انجلترا اقترفت مخالفات خطيرة شائنة ، أحكم الانجليز تدبيرها ، ورسموا خطوطها ، فأصبح لليهود فى فلسطين مركز منيع ، وسيادة لم يكونوا يحلمون بها .

وضع اليهود أيديهم على أكثر المساحات اتساعاً وخصوبة ، وملكوا من فلسطين العربية نحو ثلاثة أرباع مساحتها . وما بقى تحت يد حكومتى شرق الأردن ومصر نحو الربع .

أضف إلى ذلك أن اليهود قد أقاموا خطاً عسكرياً من شرق غزة على البحر المتوسط حتى المرشوش فى خليج العقبة على البحر الأحمر . وبذلك وضع الأسفين الفاصل بين إفريقية العربية وآسيا العربية . وتم تمزيق البلاد العربية ، وفصلت مصر عن سوريا ولبنان والعراق .

وما ذكرناه يثبت أن هذه الأعمال كانت بوحى وتدبير من القائد الإنجليزى للجيش الأردنى ، يؤيده فى ذلك المعتمد السياسى البريطانى فى عمان .

***

الشعب الأردنى والعراق :

وإنى إذ أذكر تصرفات انجلترا وجلوب ، تلك التصرفات التى عملت باسم شرق الأردن ، وأبسط من صفحات أعمالها ما يسوء كل عربى . فإنى أقدر الشعب الأردنى كل التقدير ، فهو كسائر الشعوب العربية ، يتوق إلى العزة ، ويحفظ العهد ، ويبغى أن يعيش حراً كريماً . ولكن شاءت السياسة البريطانية فى شرق الأردن أن تكبت شعور الشعب ، وتكبت إرادته ، وتضع فى سبيله العقبات فيسكت مكرهاً على هذه الأوزار . ولو تركت له حريته ، لتغيرت الحال ، وأصبحت الحكومة وليدة إرادته . وحينئذ لا تشذ حكومته عن ركب الجامعة العربية ، بل تكون حادية الركب ، تنشد أنشودة العروبة التى تتخذ من ماضيها عدة للحاضر والمستقبل .

وأعرف فى الشعب العراقى كذلك إباءه ووطنيته الصحيحة . أعرف أنه يصبو إلى عيش كريم ، فى ظل الأخوة العربية . لا ينساق وراء الغايات الجامحة ، التى تفرق بين الأخوة ، وتجعل من الحياة الآمنة الهادئة حياة قلق وفتن واضطراب . أعرف الشعب العراقى فى طهارة غاياته ، ونبل أهدافه .

لكن سلطة الاستعمار أبت في ذلك الحين إلا أن تحبس في الشعب حريته وإرادته .

والشعب يسعى جاهداً في استكمالها ، ويقوم الأحرار من رجاله وقادته بجهود جبارة تدل على حقيقة شعور الشعب ، وعلى ما ينشد من آمال وأعمال . ومن آيات ذلك فيما نحن بصدده من قضية فلسطين :

١ — تصريح الأستاذ الكبير محمدمهدى كبه الوزير السابق، ورئيس حزب الاستقلال العراقي في جريدة (لواء الاستقلال) العراقية الصادرة في ٢٦ إبريل سنة ١٩٥٠ حيث قال :

« تلقينا بأسف نبأ هذا الضم — أي ضم شرقي فلسطين إلى شرق الأردن — الذي لم يكن في نظرنا له أي مبرّر في الوقت الراهن ، لاعتقادنا أن إقراره وإعلانه سيخدم أغراض الصهيونية ، ويقوّي محاولاتهم على فرض الأمر الواقع .

وقد كان أجدى بحكومة شرق الأردن ، وهي تدير شؤون هذه الأقسام العربية إدارة فعلية أن تتريث في الإقدام على هذه الخطوة ، وتجد في التعاون مع الحكومات العربية لاستخلاص الأجزاء الأخرى التي عدا عليها اليهود ، والتي جاوزت حتى حدود التقسيم الذي أنكره العرب ، وفرضته الأمم

المتحدة ، ومنها أجزاء من المثلث العربى الذى سلمه شرق الأردن من غير حرب . هذا فضلاً عما فى هذا الإجراء من تحد صارخ لقرارات جامعة الدول العربية ، وما يؤدى إليه من شقاق بين الأردن والجامعة . وفى نظرنا تقع المسئولية الأدبية فى الدرجة الأولى على السياسة البريطانية ، التى لا يجهل أحد نفوذها على حكومة شرق الأردن ، وما كنا نرجو أن يبلغ الانصياع بهذه الحكومة حد إيجاد مبرّر لليهود بإعلان هـذا الضم للتملص حتى من مقررات الأمم المتحدة ، ومد سلطان إسرائيل إلى الحدود القائمة اليوم » .

٢ — تصريح السيد فائق السامرائى نائب حزب الاستقلال العراقى إلى جريدة « المصرى » فى ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ تعليقاً على قرار اللجنة السياسية ، إذ قال :

« إننا نؤيد هذا القرار ، لأنه الطريقة الوحيدة للتخلص من هـذا الموقف المتكرر الذى وقفه الأردن . وقد سبق أن طالبت باقصاء الأردن عن حظيرة الجامعة ، وأرى أن من واجب الحكومة العراقية ألا تتأخر عن موكب الدول العربية فى إبرامها لهذا القرار » .

٣ — تصريح السيد كامل الجادرجى ، الوزير السابق ، ورئيس الحزب الوطنى العراقى إلى جريدة المصرى فى ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ ، تعليقاً

على قرار اللجنة السياسية ، حيث قال :

« إن قرار اللجنة السياسية كان معقولا بالنظر (للأمر الواقع) الذى خلقته الأردن » .

وتصريح آخر لسيادته قبل اجتماع اللجنة السياسية فى جريدة النداء البيروتية ، قال فيه :

« إن الحكومة الأردنية بقرارها هذا قد تحملت الآن مسئولية عمل خطير يضر بمصلحة البلاد العربية ، ويتنافى مع أمانى الشعب العربى الفلسطينى ، فمن واجب الجامعة العربية أن تبادر إلى معالجة الموقف بكل حزم ، مهما تطلب الأمر من إجراءات » .

هذا ما أعلنه حزبان كبيران فى العراق .

***

وليس ما صنعته انجلترا فى الأردن إلا جزءاً من برنامج تريد من ورائه أن تثبت أقدامها فى الشرق الأوسط

وأهم ما فى هـذا البرنامج ما يأتى :

١ — إنشاء شىء اسمـه دولة إسرائيل ، حتى تـكون كالسرطان فى جسم الأمم العربية ، فلا يقوى جانبها ولا يشتد ساعدها ، فينال الإنجليز منها ما يريدون .

٢ — استغلال سيطرتها على شرق الأردن واحتلالها إياه استغلالا يخدم الاستعمار البريطانى ، ويكبت شعور الشعب الأردنى ويهدد مصالح العرب ومستقبلهم .

٣ — محاولة اتخاذ الجامعة العربية أداة لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، كما اتخذت حكومة شرق الأردن من قبل .

٤ — محاولة تنفيذ ما يسمونه مشروع سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب . وفى سبيل ذلك تنكرت انجلترا لحليفتها فرنسا ، التى سمحت لها باحتلال سوريا ولبنان ، بمقتضى معاهدة « سيكس — بيكو » . تنكرت لها وأقصتها عن هذين القطرين ، ثم أطلقت مأجوريها يروجون لهذا المشروع الخطير ، ويعملون جاهدين لتحقيقه .

وأخشى أن تدور السياسة البريطانية الصهيونية دورتها ، وتعرض البلدين الشقيقين لمأساة قد تشبه مأساة فلسطين .

***

فنحن أمام قوى غاشمة جائرة ، تريد بنا السوء والأذى ، وتتعاون على إلحاق الضرر بنا ، والفتك بمصائرنا .

وعلينا أن نتضامن على درء هذا العدوان . وأن نكون فى عملنا هذا

صرحاء أمناء . وأن نفهم أن لا حياة بغير وطن ، ولا وطن بغير حرية ، ولا عروبة إذا لم تظللها حرية الأوطان وقوتها .

نحن الآن فى محنة ، فلنتواص على أن نجتازها ، أقوى ما نكون إيماناً بالله الذى يرعى الحقوق ، ولا يحب المعتدين « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، وَدُّوا ماعَنِتُّم ، قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفى صدورهم أكبر . فقد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل

كان للولايات المتحدة الأمريكية من سنين طوال ، ممثل سياسى فى مصر هو الدكتور « هاول » الوزير المفوض ، وكان محبوباً لدى المصريين ، فلما ترك وظيفته أقيمت له حفلة توديع ألقى فيها كلمة جاء فيها ما معناه : « يجب أن تتمسك الدول فى سياستها بالمثل العليا فى النزاهة والحق ، ويجب أن يتعامل بعضها مع بعض بشرف وأمانة ، كما يتعامل الأفراد الشرفاء » .

وكان لهذه الكلمة أثر عميق فى النفوس ، واعتقد المصريون أن هذا

الممثل السياسى إنما يعبر عن حقيقة سياسة دولته ، وأكد اعتقادهم مظاهر السياسة الأمريكية فى ذلك الحين ، و بُعدها عن الأغراض الاستعمارية ، وما عرفوه عن الأمريكيين من أنهم سلالة أحرار ، هاجروا إلى الدنيا الجديدة ، فراراً من الظلم وضيق العيش وطلباً للحرية والعدالة ، وقد استغلوا أرضهم وانتفعوا بخيراتها ، ووصلوا ببلادهم إلى الثراء والقوّة ، حتى تبوّأت المركز الأول فى العالم ، فعقدت عليها الأمم المستضعفة آمالها فى الحرية والاستقلال ،وتطلعت إلى عونها المادى والأدبى ، حتى تصبح فى بحبوحة من العيش ، تعصمها من اعتناق المبادئ الهدامة ، وكنا نرجو أن يسعى ساسة أمريكا إلى الأخذ بناصر الأمم العربية ، ومساعدتها على النهوض ، لتصبح حصناً من حصون الحرية تتقى به الخطوب فى الشرق ، وكتلة قوية تصد كل اعتداء آثم ، يهدد السلام العالمى الذى تتوق إليه الإنسانية الرفيعة . هذا إلى أن الشرق الأوسط يحوى أكثر من نصف بترول العالم ، فإذا بقى فقيراً مظلوماً ، أمكن أن تنمو فيه المبادئ الهدامة ، رغم نفور أهله من الشيوعية بفضل دينهم وتقاليدهم ، فإن الفقر والظلم يدفعان المرء إلى مالا يحب ويرضى ، وإذا ظل مهيض الجناح ، مجرداً من كل قوة ، محروماً من كل عون هان اجتياح بلاده ، واستغلال خيراتها

والوصول عبره إلى المحيط الهندى ، و بذلك تكون الكارثة على الغرب ، قبل أن تكون على الشرق .

تلك ينابيع البترول فى العراق ومصر ، وفى الكويت والبحرين ، وفى المملكة العربية السعودية و إيران ، تتدفق فى بلاد غاضبة تشكو الظلم ، وتقاسى الحرمان ، وتحس بمرارة من السياسة الأخيرة التى انساق إليها ترومان وشيعته . فما الذى اتخذته أمريكا لتجذب تلك الشعوب ، وتقنعهم بصداقتها ونزاهتها السياسية التى صدعها بأعماله ترومان وصحبه . إن هذه البلاد الشرقية أصبحت حساسة إلى درجة الاقتناع بأن ترومان قلب الصداقة عداوة ، والثقة نفورا .

و إنى وأنا من أبناء الشرق ، وجزء منه ، أحس بما يحس به من امتعاض وأسف ، أرجو مخلصاً أن ترجع أمريكا عن خطة ترومان ، وأن تعيد إلى النفوس الطمأنينة كاملة ، ففى هذا نفع للطرفين ، واطمئنان يرد الشرق إلى الاعتقاد بأن أمريكا العظيمة ما زالت هى هى أمريكا القديمة ، تسعى مع الشرق فى رفع شأنه حتى يكون سداً منيعاً ، وقوة لا يستهان بها فى صد أى عدوان يهدده ، و يقضى فيه على المصالح الحيوية التى تخدم المدنيـة والعدالة ، و يودى بالسلام العام .

ولكن العرب بعد الذى رأوه من تصرفات ترومان وشيعته فجعوا فى آمالهم التى علقوها على الولايات المتحدة ، وظنوا أنها تنكرت لمبادئها السامية ، وما زلنا نرجو أن يفيق ساسة أمريكا ، ويدركوا أن صدمة فلسطين كانت من الشدة بحيث كادت تقضى على كل أمل فى المثل العليا ، التى نشرتها أمريكا على العالمين .

إنى لا أخفى ما يعتقده العرب والشرقيون من أن الولايات المتحدة الأمريكية العظيمة تسير فى ركاب السياسة البريطانية ، وتخطو وراء دولتى الاستعمار — انجلترا وفرنسا — اللتين أذلتا الشرق والعرب ، وما زالتا تستذلانهما إلى الآن .

أليس عجيباً أن أمريكا العظيمة ، رافعة علم الحرية فى العالم ، والمدافعة عن حرية الأمم ، ترى العسف البريطانى والفرنسى يجول و يصول فى بلاد المغرب العربى ، وفى مصر ، و بلاد الشرق الأدنى ، وفى الهند الصينية وغيرها ، ثم تسكت عنه ؟ أليس عجيباً أن تساعد هاتين الدولتين على اقتراف الآثام التى تطالعنا بها الصحف كل يوم من سجن وتعذيب وتقتيل ، ومن استنزاف أموال الأبرياء الوادعين ؟

أليس عجيباً أن تساعد الولايات المتحدة وتشجع على طرد شعب فلسطين

من وطنه ، وتشريده وتقتيله ، وإحلال خليط من الشعوب محله ؟! .

كيف ترضى أمريكا بهذا كله ؟ وهى التى قاست ماقاست من ويلات الحكم الإنجليزى فى بلادها ، وكافحت وضحت حتى استردّت حرّيتها وكرامتها .

كيف ترضى وهى المجاهدة فى سبيل الحرّية والاستقلال ، أن يسود الاستعباد بلاداً تتوق مثلها إلى الحرية ، وكيف تساعد على خنق شعب كشعب فلسطين ، وتمد غاصبيه من الصهيونيين بالمال والذخيرة ، وتعلن حمايتها لدولة اليهود المصطنعة ، ضاربة بقواعد الحرية ، وبكل المثل العليا عرض الأفق ؟

كيف يرضى أمريكيو الولايات المتحدة — وهم الأبناء الروحيون لجورج واشنطون ، وابراهام لنكولن — أن يحلوا محل الإنجليز فى الإجهاز على فلسطين ، متنكرين لمبادئهم الأولى فى تأييد حرية الأمم وحقها فى تقرير مصيرها ؟



لقد انساقت أمريكا وراء سياسة لويد جورج وكليمنصو الاستعمارية ، وخذلت رئيسها الدكتور ولسن ، وطرحت مبادئه الأربعة عشر ، ووافقت على

انشاء وطن قومى لليهود ، وشجعت هجرتهم إليها ، ودفعت هيئة الأمم المتحدة إلى إقرار التقسيم فى فلسطين ثم رجعت عنه بعد ذلك ، ودفعتها الى تقرير عدم التقسيم و إعلان وجود دولة اسمها اسرائيل ، وضمها الى هيئة الامم كعضو فيها ، وأعلنت عزمها على المحافظة على هذه الدولة ومناصرتها . وأدهى من ذلك كله أن تتغاضى عن اعادة المشردين من العرب الى موطنهم ، وتعويضهم عما أصابهم ، رغم مايقاسونه من آلام المرض والفقر والجوع والحرمان . وفى الوقت نفسه أجبرت المانيا والنمسا على دفع تعويضات إلى دولة اسرائيل ، لما أصاب اليهود من خسائر فى حركة هتلر ، وهذه التعويضات تساعد اسرائيل على التسلح والتحدى ، والاعتداءات التى نراها .

وهاهى ذى اسرائيل المدللة تغير على الأردن وغيرها ، هازئة بقرارات هيئة الأمم ، آملة أن توسع ملكها على حساب جاراتها ، ومع ذلك فان هيئة الأمم لاتعمل حيالهـا شيئا ، ثم هى تسعى فى أخذ مياه نهر الأردن بوسائل تعرفها أمريكا جيداً ، ولا تصدها عن مطامعها .

ماذا تنتظر أمريكا من اليهود ؟ أنها لن يصيبها منهم إلا ما أصاب انجلترا التى أصدرت تصريح بلفور ، وبذلت غاية الجهد فى خلق دولة يهودية ، فلما تراخت نوعا ما فى تنفيذ بعض مآرب الصهيونيين انقلبوا عليها . فأهانوا

ضباطها وجنودها ، وعذبوهم ، وقتلوا من قتلوا، وجاهروها بالعداء والسباب . وسيكون مآل امريكا نفس المآل ، بعد ماتبذل لليهود كل مافي طوقها من عون وتأييد . فليس لليهود أصدقاء ، وإنما لهم برامج وقرارات وأهداف، يحرصون أشد الحرص على تنفيذها ، ويعادون كل من يقف في سبيلهم ، أو يتراخى في معونتهم ، مهما يكن قد بذل من عون في سبيل تنفيذ مآربهم الجهنمية .

* * *

ها نحن أولاء قد بسطنا بعض مظاهر الانحراف في السياسة الأمريكية ، وشرحنا كيف تورط بعض ساسة أمريكا — وعلى رأسهم ترومان — في المساهمة في أعمال الظلم والجور ، التي أدت إلى نكبة فلسطين العربية . وأراني هنا بحاجة الى إضافة وقائع أخرى ، ننقلها باختصار عن الكاتب الانجليزي المعروف «دوجلاس ريد» من مؤلفه « في جهة ماجنوب السويس» استعرض فيه الحركة الصهيونية ،وقال تحت عنوان «نهضة صهيون »مايأتي:

« تختلف الصهيونية عما عداها ، كالامبراطورية الرومانية مثلا في أن الأخيرة في سيطرتها على العالم ، كانت مجسمة محددة ظاهرة ، في حين أن الأولى بدأت حركة سرية، تسعى إلى القوة والسيطرة ، عن طريق التسلط على أولى الأمر في جميع البلاد ، وقد نجحت في هذا المضمار إلى حد كبير

وحققت الصهيونية ما حققته فى نصف قرن من الزمان ، إذ بدأت أولى همساتها فى سنة ١٨٨٢ على أرض روسيا ، وفى سنة ١٩١٧ بعد الحرب العالمية الأولى جاء تصريح بلفور نتيجة لضغط وتأثير على الحكومة البريطانية من أشخاص مجهولين للرأى العام ، وبدأ التصريح ينظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، كما صرح وزراء انجلترا بأن المقصود هو وطن وليس دولة صهيونية ، ولكن ما لبث أن استدرج المهاجرون اليهود إلى هناك تحت الحكم البريطانى حتى وصلت نسبة اليهود إلى ثلث عدد السكان ، بينما لم تزد نسبتهم فى سنة ١٩١٧ على ٧ — سبعة من مائة.

وأمام اعتراض البلاد العربية على الهجرة ، وخشية اندلاع حرب ضروس قررت الحكومة البريطانية الا تسمح بهجرة اليهود إلا اذا رضى عنها العرب ، فقامت حرب عظمى فى أوربا .

« وقد أثبتت الحرب العظمى الثانية فى نهايتها أن القوتين الرئيسيتين فى العالم ، رغم ما بينهما من خلاف ، اتفقتا على أمر واحد جوهرى هو اتساع الإمبراطورية الشيوعية ، و إنشاء الدولة الإسرائيلية . ولم تكن الدولة الصهيونية من أهداف الصراع الأخير ، ولم يعلن عنها عند تعبئة الشعوب للحرب ، ومع ذلك فإن هيئة دوليسة سميت باسم هيئة الأمم المتحدة سلمت

أرض العرب المسالمين إلى غاصبيها من شرق أوربا وقدمت لهؤلاء الأخيرين الأموال والأسلحة والمجاهدين من أمريكا وروسيا . وقد شكا وزير صهيونى من أن ما تطلبه عملية إنشاء دولة إسرائيل من نفقات بلغت مائة مليون من الجنيهات ، لم يقدم لها من الخارج سوى ٢٥ مليونا فقط .

« وفى هذه القضية وحدها أجيز الاغتصاب والتعدى . وتخلى العالم الغربى عن تعاليمه ومبادئه التى حارب من أجلها حربين عالميتين . ولم يعرف التاريخ فضيحة كهذه من قبل . وعلى هذا النحو أثبتت هيئة الأمم المتحدة أنها منظمة أشد خطراً ، وأكثر ضرراً من عصبة الأمم القديمة ، فقد خلقت للعالم الغربى فى بلاد العرب مشكلة أكبر من مشكلة وسط أوربا .

« وهكذا بدأ الحلم الصهيونى خطواته الأولى ، منذ تصريح بلفور فى الحرب العالمية الأولى ، فحقق أول أغراضه بإنشاء الدولة الصهيونية فى الحرب العالمية الثانية .

« وإليك الطريقة التى حقق بها الصهيونيون أطماعهم ، وتسلطوا بها على من بيدهم الأمر فى العالم . وخاصة الولايات المتحدة .

« فى نهاية الحرب العالمية الثانية طالب الرئيس ترومان بهجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين ، رغم ما صرح به الرئيس المذكور فى خطابه للبرلمان سنة ١٩٤٧ من أن أمريكا لن ترضى عن حكم شعب بغير إرادته ، وسوف تدافع عن حق تقرير المصير . و بعد بضعة أشهر وافقت هيئة الأمم على تقسيم فلسطين و إعطاء النقب لليهود . والجليل الغربى للعرب .

« وفى مارس سنة ١٩٤٨ حاول وكيل وزارة الخارجية المستر مارشال إقناع الرئيس ترومان بخطر التقسيم على فلسطين ، وما قد يثيره القرار من حرب هناك . ولـكنه لم يفلح ، إذ أعلن الرئيس ترومان اعترافه قبل جلاء القوات البريطانية عنها ، وكان ذلك الإعلان فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ . وكان الاعتراف مفاجأة لمندوب الولايات المتحدة فى اجتماع هيئة الأمم ، وقد استقال على الأثر المستر مارشال ، خصوصاً بعد إعادة انتخاب ترومان .

« وقد نشبت الحرب فى فلسطين وقت انشغال بعثة أمريكية فى إجراء مفاوضات بين العرب واليهود . واشتدت الحرب إثر إعلان

ترومان اعترافه بدولة إسرائيل ، مما حدا بهيئة الأمم أن ترسل وسيطاً لنهو النزاع ودياً ، وهو « الكونت برنادوت » .

« وما كاد الوسيط ينتهى إلى قراره بأن يعطى النقب لليهود ، والجليل الغربى للعرب ، وإلا فليترك النقب للعرب ، ويأخذ اليهود الجليل الغربى ، حتى قتل بأيدى عصابة إرهابية اسمها عصابة « شترن » ورغم جسامة الجريمة ، وعظم شخصية الوسيط المقتول لم تتخذ إجراءات العقاب الكافية ، بل استقبل عمدة نيويورك أحد أفراد العصابة المذكورة باحتفال رائع ، اشتركت فيه موسيقى البوليس .

« وسر اهتمام اليهود « بالنقب » بل لعل السر فى غزو اليهود لفلسطين هو أهمية الحصول على « النقب » ، للوصول إلى البحر الميت ، الذى يحوى ثروة عظيمة من المعادن ، كالمنجنيز والبوتاس وغيرهما ، مما قدره العلماء فى سنة ١٩٢٥ بمبلغ ٢٤٠ مليارا من الجنيهات . ولما كانت اقتراحات الكونت برنادوت هى العقبة أمام اليهود لتحقيق أطماعهم فى ثروة البحر الميت ، فقد حكموا عليه بالإعدام وقتلوه على الفور .

« وقد ساعد الصهيونيين على تثبيت أقدامهم فى فلسطين ترومان فى أمريكا ، وحزب المحافظين فى انجلترا . ومما يدعو إلى الحسرة حقاً أن هيئة الهجرة

الدولية التي تسندها الولايات المتحدة وانجلترا ، قررت حسب ما جاء في الصحف الصهيونية أن العرب المهاجرين غير خليقين بأية مساعدة ، بينما قررت في الوقت ذاته منح المتعصبين اليهود من الشباب منحة قدرها مليون جنيه لإرسال خمسين ألفاً من اليهود إلى فلسطين ...

« ومما يدعو إلى العجب أنه حتى أعداء اليهود المعروفين كهتلر مثلاً وجورنج في ألمانيا ، والسير أزولا موزلي في انجلترا ، كلهم وجهوا اهتمامهم إلى إنشاء وطن قومي لليهود ، وأن اختلفوا في مكان ذلك الوطن أيكون في ألمانيا ، أم في تنجانيقا ، أم في مدغشقر الخ . . . ولكن لم يرض اليهود عن فلسطين بديلا ، للسبب السابق بيانه وهو ثروة البحر الميت .

« وعلى أية حال فقد سيطر اليهود على رءوس حكام العالم . وتحقق حلمهم بواسطة روسيا ، التي زعمت أنها عدو اليهود ، وقد أمدتهم بالزعماء والسلاح . و بواسطة أمريكا التي أمدتهم بالمال .

« وقد بلغت سيطرة اليهود على أصحاب النفوذ في جميع أنحاء العالم أن زعيم الارهابيين اليهودى ، ويدعى جابوتنسكى سخر من قضاته الانجليز سنة ١٩٢٠ ، وتحداهم في امكان تنفيذ أحكامهم مهما تكن ، وثبت

فعلا أن هناك قوة خارقة للعادة ، توقف تنفيذ الأحكام الصادرة ضد اليهود وتعطلها .

« وقد ورد فى تقرير للجنة ملكية انجليزية أن الصهيونيين لهم إدارة للمخابرات على جانب عظيم من الدقة والمقدرة ، ويمكن القول بلا مبالغة أن للصهيونيون أقوى تنظيم سرى فى العالم .

« والنتيجة الطبيعية لنجاح الحركة الصهيونية حتى الآن هى تضخم آمال اليهود ، واتساع أطماعهم . فلن يكتفوا بعد الآن بما حصلوا عليه من رقعة ضيقة من الأرض ، خصوصاً وقد دان لهم نفوذ قوى الحكم فى العالم أجمع . وينظر اليهود إلى هيئة الأمم كأول خادم محقق لأغراضهم ، يتسلطون بها على باقى بقاع الأرض .

« ويبشر بقرب الغليان فى منطقة فلسطين وما جاورها فى المستقبل القريب أن الجزء الأكبر من الصهيونيين الموجودين فى فلسطين ليسوا من اليهود فحسب ، وإنما هم من الشعوب الأسيوية أصلا ، أولئك الذين يهدفون إلى السيطرة على العالم .

« ويرسم لنا خطوط الدولة الصهيونية ما صرح به زعماؤها ومنهم ناحوم زوكوف . إذ قال فى المؤتمر الصهيونى بكارلسباد سنة ١٩٢٢ (أن

عصبة الأمم فكرة يهودية . خلقناها بعد صراع دام خمسة وعشرين عاما)

« وفى سنة ١٩٢٣ قال فلادمير جابوتنسكى فى المؤتمر الصهيونى الفرنسى (أنه إذا رفضت بريطانيا اعطاء فلسطين لليهود، فان اليهود سيكونون بمثابة المحرك للقضاء على بريطانيا) وفى مارس سنة ١٩٣٩ انضمت جميع بلاد الكومنولث إلى بريطانيا ، وفى سنة ١٩٤٨ صوتت هذه البلاد ذاتها ضد بريطانيا فى موضوع فلسطين .

« وفى سنة ١٩٤٨ جاء فى جريدة « فلسطين بوست » على لسان الأستاذ هارولد لاسكى « أن الطلقات الأولى فى فلسطين بعد ١٥ مايو[١] ستكون أولى الطلقات فى سبيل الحرب العالمية الثالثة التى ستقضي على مدنيتنا الحديثة ، وهو عين ما قاله المستر مارشال لترومان من قبل .

« وفى مايو سنة ١٩٤٨ قال المستر أ . أبراهامز أحد كبار الصهيونيين فى جريدة صهيونية (يجب أن ننظر إلى دولتنا كدولة قوية عظيمة تجمع العلماء والقوة الفنية وغيرها ، حيث أنه لا يوجد اختراع أو سلاح لا يعرفه اليهود، أو لم يشترك فى صنعه يهودى . وما دمنا نعتبر أنفسنا فى حالة حرب، ونعد لهذه الحرب عدتها فان النصر النهائى سيكون حليفنا ، والنصر النهائى

(١) تاريخ انسحاب البريطانيين من فلسطين

يوم يعود جميع الأسرائيليين إلى أرض إسرائيل كاملة) .

« وفى سنة ١٩٤٨ قال المستر بن هخت وهو صهيونى بارز يعيش فى أمريكا (فى خلال الخمسة والعشرين عاما القادمة، أو الخمسين سنة القادمة ، ستحصل إسرائيل على الأرض التى تحتاجها ، وتصبح إحدى الدول الخمس الكبرى فى العالم) .

« وفى سبتمبر سنة ١٩٤٩ قال صهيونى بارز آخر من أمريكا ومن أتباع ترومان فى مجلس النواب ، وهو المستر أمانويل سلر ، وذلك على صفحات جريدة النيويورك تيمز (قد يضطر الإسرائيليون إلى إعطاء العرب درساً جديداً ، وطعن قواتهم فى الصميم ، ولكن فى هذه المرة لن تشفع للعرب توسلات هيئة الأمم ، فسوف يتقدم اليهود إلى بيروت وعمان والأسكندرية) .

« وفى نوفمبر سنة ١٩٤٩ قال المستر إلياس ساسون ، وهو مسئول إسرائيلى فى وزارة الخارجية الإسرائيلية ، كما ورد فى الصحافة المتحدة (أن اليهود على استعداد لمواصلة الحرب ، إذا رغب العرب فى ذلك فالسلام الدائم أبعد الآن مما كان عليه فى بداية العام) .

« تلك هى أطماع اليهود صريحة ، ولكن من هم الأشخاص الذين

يؤيدون هذه الأطماع؟ الغريب أنهم ليسوا من اليهود ، وإلا لما كان لتأييدهم نفس القوة وتلك هى المأساة.

« والغريب أن الحجة التى طالما استند إليها اليهود فى تبرير عدوانهم على أرض فلسطين تتلخص فيما زعموه من أنها أرض أجدادهم . والواقع أن الحركة الصهيونية تزعمها يهود أوربا ، وهم من أصل أسيوى وليس لهم علاقة بفلسطين أصلا .

« وقد شرح ذلك أحد أرباب الصناعات من اليهود ، ولد فى نيويورك وهو المستر بنيامين فريدمان إذ كتب فى « الرسالة الاقتصادية » المنشورة فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، يقول (الصهيونية السياسية حركة يهود شرق أوربا ، الذين لا علاقة لهم بأرض فلسطين أصلا ، وإنما هم من أصل مغولى أسيوى) .

« وطالما نبه المستر فريدمان إلى خطر الصهيونية على أمريكا نفسها ، قبل اعتراف ترومان بدولة إسرائيل ، ذلك الاعتراف الذى وصفه صاحبه بأن يوم صدوره كان أعظم أوقاته فخراً .

« وقد صرح أحد كبار الأمريكيين اليهود وهو المستر هنرى مرجانتاو بأن (الصهيونية أكبر بدعة فى تاريخ اليهود) . ومثل المستر مرجانتاو

آخرون حاربوا الصهيونية ، وهم من اليهود ولكن تغلب عليهم زعماء سياسيون أمثال لويد جورج ، ولورد بلفور فى انجلترا ، وترومان وغيره فى أمريكا . وهكذا تزعم الصهيونية ، ودعا إليها أناس غير يهود » .

وجاء فى نفس الكتاب تحت عنوان : انحطاط الجمهورية الأمريكية ما يأتى :

« من أهم أسباب الضعف فى الولايات المتحدة تسلل الشيوعية والصهيونية إليها ، فى غفلة من الحكومة ، وقد سهل ذلك قوة الدولة الأمريكية وثراؤها ، ومن ثم ضعف الرقابة والتهاون فى محاربة الهجرة الجماعية ، وسوء استغلال أصوات الناخبين ، والتأثير على رجال الحكم ، ورؤساء الجمهورية .

«ومن أخطر مستشارى رؤساء الجمهورية ، وما زال باقياً إلى الآن المستر (برنارد باروخ) فقد صاحب الرئيس ولسن إلى مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ ، وبقى ناصحاً لخمسة رؤساء لاحقين هم: هاردنج ، كولدج ، هوفر ، روزفلت ، ثم ترومان .

« وقد انتشر نظام المستشارين اليهود غير المسئولين فى نظام الولايات

المتحـدة لدرجة أن القواد الأمريكيين فى منطقة الاحتلال فى ألمانيا يستعينون بهم .

« وفى خلال الحرب العالميـة الأولى كان المستر « باروخ » رئيساً للجنة صناعات حربية ،لها من القوة مايسمح لها بالسيطرة على كافة الصناعات، وأسلحة الجيش خلال الحرب . وقد سئل المستر باروخ بعد الحرب الأولى أمام لجنة تحقيق برلمانية عن مدى سلطانه وقوته أثناء الحرب ،فأجاب بأنه كان أقوى رجل فى العالم ، فهو الذى كان يقرر لـكل سلاح من أسلحة الجيش حصته فى الميزانية. كما كان يرجع إليه لمعرفة أى ميدان من ميادين الحرب أولى بالاهتمام عما عداه . وفى خلال حكم الرئيس روزفلت حظى المستر باروخ بسلطان لاحد له، لدرجة أن مستر تشرشل قبيل الحرب الأخيرة قال له : إن الحرب وشيكة الوقوع ، و إن المستر باروخ سيتولى إدارتها فى أمريكا . و بعد الحرب الأخيرة استرد المستر باروخ سابق قدرته ، ونفوذه العالمى ، إذ عين رئيساً لهيئة على جانب عظيم من الأهمية ، هى هيئة تقدم الأبحاث الذرية . وقد عهد مستر تشرشل بأبحاث بريطانيا الذرية التى كانت تسبق فيها باقى بلاد العالم إلى المستر باروخ ليحتفظ بها كسر فى أمريكا ، وليستعين بهـا فى تحسين الاختراع فى بلاده . وقال تشرشل فى سنة ١٩٤٦ — كما جاء فى

جريدة يوركشير بوست — إنه لا يوجد أفضل من المستر باروخ ليودع لديه أسرار ذلك الاختراع الخطير ...

«وكانت خطة المستر باروخ ترمى إلى إنشاء هيئة دولية تحتكر إنتاج القنابل الذرية وتشرف عليها ، وأن هـذه الهيئة وغيرها هى التى تقرر متى تستعمل تلك القنابل وأين تلقى . ولا ريب أنه كان يهدف بذلك إلى إخضاع تلك القوة لسلطان اليهود ، الذين يسيطرون على الهيئات الدولية ، والذين سوف يقررون استخدام تلك القنابل ضد العرب ، لطردهم من فلسطين .

« ورغم ما أعلنه ترومان فى أكتوبر سـنة ١٩٤٩ من أنه يؤيد مشروع المستر باروخ سالف الذكر ، فإن تلك الهيئة الدولية لم يكتب لها الوجود بعد .

« ومما يدل على أن قرارات الدول العظمى لم تـكن فى المدة الأخيرة ، وخاصة إثر الحرب العالمية الثانية وليدة إرادة الدولة أو برلمانها ، وإنما كانت وليدة تفكير بعض المستشارين ، وتأثيرهم على رؤساء الدول بصفتهم الشخصية أن مشروعاً هاماً كمشروع معاقبة ألمانيا ، والذى يطلق عليه اسم مشروع مورجنتاو ، والذى ذيل بإمضائى روزفلت وتشرشل ، لم يكد

تعلن نصوصه حتى أعلن كل من روزفلت وتشرشل أسفه على موافقته على ذلك المشروع ، كما ظهر أن المشروع كان مفاجأة لزملاء كل من الرئيسين من الوزراء والبرلمانيين .

« وقد أحاط الرئيس روزفلت نفسه بكثير من المعاونين غير المسئولين يحوطهم الغموض ، وأثبتت الأيام أن أهم القرارات كانت بتأثير هؤلاء .

« وفى خلال حكم الرئيس روزفلت نجح الصهيونيون فى الوصول إلى أرقى المناصب ،وأخطرها فى الحكومة الأمريكية ، ومن هناك عمل هؤلاء على تحقيق غرضيهما الأساسيين :

نشر الشيوعية ، وتدعيم دولة إسرائيل .

« ولو أن روزفلت لم يعلن فى صراحة كزميله « هوفاير » فى جنوب إفريقيا أن إنقاذ العالم سيكون على أيدى الصهيونية ، فإن حكم روزفلت يوحى بأنه اعتنق نفس الفكرة . ففى سنة ١٩٣٢ قال كاتب يهودى هو « المستر والترليمان » (أن من الواضح أن روزفلت ليس زعيم القوات التى تسير خلفه ، وإنما هو أداة فى يدها) .

« وفى سنة ١٩٣٦ قال أحد رجال الدين اليهود (المستر لويس جروس).

إن إدارة روزفلت اختارت من اليهود لملء المناصب الخطيرة أكثر من أية إدارة أخرى فى تاريخ أمريكا .

« وفى سنة ١٩٣٨ كتبت النيويورك تيمس ما يأتى : (بعد مقابلة مع المستر روزفلت صرح السناتور (واجنر) أن الرئيس أبدى استعداداً غير عادى لدعم الوطن اليهودى فى فلسطين وإزالة أى قيد على هجرة اليهود إليها . . . .) .

« وجميع هذه الأمثلة توحى لنا بالسياسة التى سيطرت على الدول العظمى فى تاريخها الحديث ، والتى تهدف إلى نشر الشيوعية الروسية ، ودعم الدولة الإسرائيلية عن طريق سيطرة اليهود على المناصب الرئيسية ، وتسلل الشيوعيين بين الطبقات الكادحة لإثارتها .

« وإن ما بدأه لورد بلفور ، ولويد جورج ، ثم الرئيس ولسن قد أتمه بعد ذلك الرئيس روزفلت ، ثم خليفته ترومان ، إلى نهايته المحتومة ، ففى نهاية الحرب العالمية الأخيرة عين أحد المناصرين للصهيونية وهو المستر (لاجوارديا) رئيساً لمنظمة « الأنرا » أى منظمة الإغاثة والتعمير الدولية ، التى استخدمت أموالها أول ما استخدمت وأكثر ما استخدمت ، لتحقيق مآرب اليهود فى فلسطين . . .

« والملاحظ أن كل من عارض فكرة اليهود لتقسيم فلسطين من كبار السياسيين فى أمريكا أبعد عن منصبه أو عوقب أشد العقاب . ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال الجنرال مارشال وكيل وزارة الخارجية ، والمستر جيمس فرستال وكيل وزارة الدفاع الأمريكية ، فقد عارضا فكرة تقسيم فلسطين ، وتعرض الأخير لحملات اليهود عليه وعلى عائلته ، فاضطر إلى الانتحار بأن ألقى بنفسه من نافذة ... »

***

الآن وقد اقتبسنا من كلام الكاتب المعروف « دوجلاس ريد » ما اقتبسنا ليكون القارئ على بيِّنة مما فعلته وتبيِّته الصهيونية ، لا بد لنا من أن نذكر أن إسرائيل قد أذاعت أخيراً أنها أقامت « لترومان » تمثالاً فى « تل أبيب » ستزيح عنه الستار عما قريب ، بمهرجان كبير ، وبحضور ترومان نفسه ، ليرى بعينيه ما اقترفه فى حق البشرية بطرد أمَّة من ديارها وتشريدها وتقتيلها ، وإحلال عصابات محلها اغتصبت الديار والأموال ، باسم هيئة الأمم المتحدة ، التى تدعى أنها سياج العدل وحامية الإنسانية .

وإن العالم العربى وهو ضحية العسف والظلم لا يرتبط مصيره بمؤتمرات أو قرارات ، وأنه يعيش فوق فوهة بركان قد ينفجر يوماً فيهلك الحرث

والنسل، ولا نجاة له إلا بالعمل المتواصل، فى سبيل حفظ كيانه ومستقبله، فالأيام عصيبة ، والعدوّ بالمرصاد . وها هى النذر تتوالى كل يوم بما تقترفه إسرائيل من اعتداءات أقربها اعتداءاتها المتكررة على الحدود الأردنية ورغبتها فى اقتناص مدينة القدس القديمة ، و بعدئذ تضعنا هيئة الأمم المتحدة — تلك التى ترعى حقوق الأمم وتصون الإنسانية — أمام ماتسميه بالأمر الواقع ، وهكذا دواليك .

و إن كثيراً من كتاب الغرب قد فطنوا إلى الحقائق ،ونبهوا العالم إلى أن الحرب العالمية الأولى تمخضت عن وعد بلفور ، و إثراء اليهود ، و بسط سلطانهم ،وأن الحرب العالمية الثانية تمخضت أيضاً عن قيام دولة إسترائيل ، واتساع ثراء اليهود، وازدياد نفوذهم . ولم تأت الحربان العالميتان بأية نتيجة للعالم سوى الخراب ، وتدهور الاقتصاديات المسيحية . وستكون النتيجة الأكيدة لحرب ثالثة تدفع إليها الصهيونية ، إتمام خراب العالم ، وسيطرة اليهود ، طبق الوضع الذى حددته قرارات حكماء صهيون .

ونضيف أن المتتبع لجلسات هيئة الأمم المتحدة يرى كما رأى بعض كتاب الغرب أن حكومة السوفييت لم تتفق مع الغرب إلا فى مسألة واحدة وهى الاعتراف بإسرائيل . و يرى الكاتب أن روسيا كانت ترمى

إلى غرض طالما كرّرته ، وهو خروج انجلترا من الشرق ، فلما حان الوقت الذى حتم على انجلترا الخروج ، بادرت بالاتفاق مع الأمم المتحدة بالاعتراف بإسرائيل ، وذلك لأنها تعلم أن إسرائيل دولة يهودية صهيونية ، وأنها تشمل يهود العالم ، فإذا غضبت إسرائيل غضب يهود العالم ، وروسيا تتوق لاحتضان إسرائيل كى تحتضن اليهود أجمعين .

ويلاحظ أن إسرائيل على استعداد للتقلب ، والانضمام إلى الشيوعية ، التى خلقها اليهود ، متى رأت مصلحة فى ذلك . وفى إسرائيل حزب شيوعى رسمى ، لا يبعد عند الضرورة أن ينال الأغلبية فى البرلمان ، فتصبح إسرائيل دولة شيوعية فى قلب الأمم العربية ، وقسماً من الاتحاد السوفييتى يعد نقطة ارتكاز شيوعية ضد الغرب لا محالة .

نظرة عامة

نفهم مما تقدم بأسانيد لا تحتمل الشك :

أولاً : أن اليهود اعتدوا على السيد المسيح ، ونعتوه بأقبح الأوصاف ، حتى وصلوا إلى التصرف فى حياته والحكم عليه بالإعدام . كذلك عادوا الحواريين ، وأنصارهم من بعده . فعلوا ذلك كله أملاً فى أن يخنقوا المسيحية فى مهدها ، وأن ينفردوا هم بسلطان عقيدتهم ، كما وضعته كتبهم الدينية .

ولما ظهر الإسلام ناصبوه العداء — كما فعلوا مع المسيحية من قبل — وسعوا فى قتل النبى محمد عليه السلام ، وأثاروا الحرب ضده ، وخانوا عهودهم ومواثيقهم معه ، وصارحوا قريشاً بأن الوثنية أفضل من دين محمد ، مع أن دين محمد هو دين توحيد ، ودين اليهود هو دين توحيد ، واتفقوا مع عبدة الأوثان لخنق الإسلام .

ثانياً : لما رأى اليهود انتشار الدينين المسيحي والاسلامى بدءوا — وهم قلة — يحكمون أساليب الغدر بالمسيحية والاسلام .

وعندما رأوا نهضة أتباع سيدنا عيسى ، واتساع سلطانهم في الغرب ، فكر حكماؤهم في وضع برامج محكمة ، ترمى إلى إفساد الدول المسيحية ، ونشر الفوضى في ربوعها ، بما ابتدعوه من ماسونية تنفذ قرارات حكماء صهيون ، تحت ستار براق يغرى المسيحيين ، وهو « الأخاء الانسانى » وتمكنوا بفضل الماسونية من التغلغل في شؤون الدول المسيحية ، وبث السموم بين أفرادها وحكوماتها . ولهذا حرص اليهود على أن تكون نواياهم خفية وحركاتهم سرية ، ظاهرها فكرة سامية هي « الأخاء الانسانى » وباطنها تلك الماسونية السرية والقرارات الجهنمية ، وليس من المعقول أن تكون الماسونية سرية إذا كانت تهدف إلى الخير حقاً . وهل العمل للمساواة والأخاء الانسانى يستلزم السرية ؟

إن المرء ليسائل نفسه : لم تكون الماسونية سرية ولم تتخذ رموز خاصة بين الماسون ؟ ولم تكون الشارات والعلامات في محافل الماسون كلها يهودية ؟ ولم جعلت طبقات الماسونية ثلاث ، لا يرقى فيها أحد من غير اليهود إلا إلى الطبقة الثانية « الماسونية الملوكية » بشرط أن يجتاز امتحانا صعبا ، يثبت اخلاصه وصدق خدماته للماسونية ؟ ولم يحرم على الجوييم — أى غير اليهود — تحريما باتا الدخول في « الماسونية الكونية » تلك الطبقة العليا التي لا يعرف أحد أعضاءها أو رئيسها أو مركزها ، حتى

ولو كان من عامة اليهود أنفسهم ، وإنما تلقى أوامرها من عل ، كأنها وحى ، لا تجوز مخالفته ، وقد يقضى بالهلاك على من يخالف أمراً أو يفشى سراً ؟ ويقولون مع ذلك إن الماسونية ليست شيئاً سوى عمل انسانى ، أساسه الأخاء والمساواة !

فهل تحقيق مبادىء الانسانية يوجب تلك السرية الجامدة التى لا تلين ، أو أن الغرض منها هو خدمة الصهيونية وجلب السذج من المسيحيين والمسلمين ليكونوا مطايا طوع ارادتها ، ينفذون أغراضها فى الهيئات والحكومات ، وتسوقهم سوقا وهم عمى لا يبصرون ، وصم لا يسمعون . يود أحدهم أن يصبح استاذاً أعظم ولا يدرك أنه سيصبح خادما أعظم للصهيونية ، يسخر لتنفيذ مآربها فى الأعمال التجارية والصناعية والسياسية ، ويستخدم كأداة للتجسس فى الهيئات ودور الحكومات لمعرفة أسرارها تحت ستار خدمة الانسانية ، بينما الصهيونية لا تهدف إلى شىء سوى تحطيم الدول المسيحية والاسلامية ، وتفكيك أواصر الأمم غير اليهودية .

وقد ظهرت آثار النشاط الماسونى فى الثورات المسيحية التى أطاحت برءوس الكثيرين ، وبطمأنينة البلاد والشعوب وفى انقسام الدول المسيحية إلى معسكرات متعادية تتقاتل وتتناحر ، وتسخر العلم والمال فى تجويد أساليب القتل والتدمير ، بدل أن تنصرف الى السلم وتتعاون على خدمة البشرية

ورفع مستوى الحياة . وقد وصل العداء إلى ذروته ، وقامت الحرب العالمية الأولى والثانية ، وها هى ذى الحرب الثالثة على الأبواب .

ثالثا : كانت آمال الصهيونية الأولى استرجاع أورشليم ، واسترجاع فلسطين كلها . وهى مكان التقديس عند أنصار عيسى وأنصار محمد ، ففى فلسطين كنيسة بيت لحم ، حيث ولد السيد المسيح ، وفى أورشليم كنيسة القيامة ، محل قبر السيد المسيح . وفيها المسجد الأقصى ، وفيها محل البراق الشريف . وفيها أضرحة الأنبياء . لكن اليهود يسخرون من هذه الذكريات وهذه المقدسات ، ويريدون أن يضعوا أيديهم عليها .

ثم اتسعت آمالهم ، فأرادوا أن يكون ملكهم من الفرات إلى النيل كما جاء فى توراتهم وكتبهم المقدسة ، وهم يذكرونه فى أناشيدهم ، وسطروه على باب برلمانهم . ثم تولدت عندهم الرغبة فى السيطرة على العالم كله ، بعد تحطيم دول الكافرين — وهم المسيحيون والمسلمون — وقرارات حكمائهم تثبت ما نقول ، بينما المسيحيون والمسلمون فى غفلة عما يعملون .

رابعاً : من أقوى المسائل التى تساعد الصهيونية على تحقيق أغراضها تغلغل اليهود فى الهيئات و إدارات الحكم ، وقد وصلوا إلى أن يكون بعضهم من الوزراء فى الدول المسيحية والإسلامية ومن أعضاء المجالس

النيابية، ومن كبار الساسة والعلماء . وتسللوا كذلك إلى معاهد التربية والتعليم يبثون تعاليمهم ، وإلى معاهد الفنون الجميلة . وسيطروا على البيوت المالية والبورصات وعلى الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الأنباء والسينما ، حتى أصبحوا يوجهون التفكير المسيحى والإسلامى ، ويخدعون هؤلاء وهؤلاء باسم حرية القول والنشر ، ويدفعونهم إلى هجر عقائدهم وتقاليدهم وآدابهم الموروثة ، مما أدى بهتلر إلى أن يستصرخ العالم ضدهم ، لا لأنه من ذوى التقى والورع، ولكنه أراد انقاذ أمته والعالم من هذا الشر الوبيل الذى استشرى فى الأمم المسيحية ، ومن هذا السم الذى سرى فى أجسام غير اليهود .

ومن المعلوم بداهة أن الشعب الألمانى من أرقى شعوب العالم ، وأكثرها علماً وفناً ووطنية، وله من المناعة ما كان يصح أن يحميه من أعمال الصهيونية لكن هتلر رغم هذا كله قد لمس فى أمته ما أضعفها وكاد يقضى عليها ، فكيف بالأمم الأخرى التى ليست لها هذه المناعة ؟ .

خامساً : يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار ، ويرون أنهم أرقى الأمم ديناً وعنصراً ، وأن الأمم الأخرى لم تخلق إلا كالأنعام لخدمة السادة المختارين ، ونجم عن هذا الاعتقاد أن أصبح اليهود جميعاً كتلة

واحدة فى مشارق الأرض ومغاربها ، يتعاونون فيما بينهم ويحتكرون التعامل فى المال والتجارة ، ووكالة المنشآت التجارية وغيرها ، ويأتمن اليهودى الانجليزى مثلا اليهودى اليمنى ويساعده ، ولو لم يعرفه ولم يره ، ويراسله كأخ شقيق وإن كان أحدهما لا يعرف سوى الانجليزية والآخر سوى العربية . ويعتبر اليهودى الانجليزى نفسه مواطناً لليهودى اليمنى ، واليهودى الأمريكى مواطناً للعراقى واليونانى فوطنهم جميعاً واحد ، وهو الدين والعنصرية ، ولا عبرة بالجنسية الرسمية الإنجليزية أو اليمنية أو الأمريكية وغيرها .

سادساً : اتسع نشاط اليهود ، وارتفع شأنهم المالى والاقتصادى والسياسى ، وقويت شوكتهم فى السياسة والتجسس . وبعد أن هاجر كثير منهم إلى الولايات بأمريكا وأصبحوا هناك ملايين كثيرة ، انتقل مركز الثقل اليهودى إلى أمريكا ، وأصبحت نيويورك عاصمة اليهود الفعلية لا « تل أبيب » وكثر الأثرياء منهم والسياسيون ، إلى درجة أن أصبحوا هم المسيطرين هناك ، وأصبح كل حزب سياسى يتملقهم ويطلب عونهم المالى والتجارى والاقتصادى والسياسى . فبيدهم الآن كما يدعون أمر الانتخابات العامة والمشاريع العامة ، يتزلف إليهم من يتطلع إلى رياسة الجمهورية ، سواء أكان من الديموقراطيين أم من الجمهوريين . ويتملقهم من يبغى أن يكون حاكم نيويورك ،

ولهم نفوذهم فى المحكمة العليا ، وفى البرلمان (الكونجرس) ، ولهم تأثيرهم فى الانتخابات الإقليمية والمشاريع المالية .

فلا غرابة بعد هذا إذا تملقهم ترومان وغيره . ولا غرابة إذا اندفع فى الملق والخطأ بعض الساسة الأمريكيين ، وأصبحوا أشد حماسة لليهود من تشرشل نفسه . بل إن رجال الدين المسيحى هناك تأثروا بهم ، إلى حد أن عقد خمسة آلاف قسيس بروتستانتى أمريكى مؤتمراً فى فبراير سنة ١٩٤٥ وقعوا فيه مذكرة أرسلوها إلى الرئيس ترومان ، يظهرون فيها شديد عطفهم على القضية الصهيونية ، ويطالبون بفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين .

وقد بادر ترومان — الذى أحاط به نفر من اليهود ذوى النفوذ ، أخص بالذكر منهم « دافيد نايلز » وكان مستشار البيت الأبيض — بادر بإعلان اعترافه بدولة إسرائيل قبل أى إنسان آخر وبعد دقائق من قيامها فى صبيحة يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، ثم أعقبه ستالين . وما ذلك إلا لأن الثورة البلشفية كانت عملا يهودياً كما قلنا .

ولا يدهش المرء بعد الذى ذكرناه أن يرى الخصمين اللدودين — الروس والأمريكان — لم يتفقا على أمر إلا على الاعتراف بدولة اسرائيل ، أى الاعتراف بطرد شعب يقيم فى بلاده من آلاف السنين — قبل

الإسلام والمسيحية واليهودية — ليحل محله خليط من أمم مختلطة، تكوّن دولة منه .

وما يزال ترومان — بعد أن ترك رئاسة الجمهورية الأمريكية — يوالي تصريحاته بوجوب صيانة هذه الدولة المصطنعة . وسيحصد المسيحيون في المستقبل ما زرعه ولاة أمورهم ، ظانين أن ماصنعوه كان ضد العرب وحدهم ، مسيحيين كانوا أو مسلمين .

ثامناً : أن اليهود وقد اطمأنوا إلى تكوين حكومة لهم طالبوا الألمان والنمساويين بتعويضات باهظة ، فبادر الحلفاء المسيحيون المحتلون لهذه البلاد المهزومة بتأييد طلب اليهود ، وأكرهوا الألمان والنمساويين على دفع تعويضات ثقيلة ، وذلك رغم أن أصبح لليهود دولة ، و بعد أن رجع كثير منهم إلى ألمانيا والنمسا واحتلوا هناك مراكز خطيرة مالية واقتصادية وسياسية .

وهؤلاء الحلفاء المسيحيون هم الذين يأبون على عرب فلسطين أن يرجعوا إلى وطنهم ، أو تعويضهم عما فقدوه من أموالهم وأراضيهم وأرواح ذويهم ، وتركوهم مشردين خارج بلادهم ، يقاسون الجوع والمرض . وفوق ذلك فإن أمريكا ما زالت هي وحليفاتها تمد إسرائيل بالمال الكثير ، والسلاح والذخيرة ، وتحرم العرب من هذا كله !

ومن غريب ما حدث أن تقرر هيئة الأمم المتحدة مراراً عودة العرب إلى أوطانهم وتعويضهم بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ و ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ و ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩ و ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠ و ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، ثم تبقى هذه القرارات حبراً على ورق . والأقوياء يعلمون أنهم أصدروها لتكون كذلك ولن ينفذوها ، ككل وعود الشرف التي يعلنها الاستعمار .

تاسعاً : أحيت دولة إسرائيل اللغة العبرية المندثرة ، وجعلتها لغة البلاد الرسمية . ولأنها تعتبر جميع يهود الأرض مواطنين لدولة إسرائيل فقد افتتحت مدارس للغة العبرية فى الولايات المتحدة الأمريكيـة لليهود الأمريكيين .

ولقد سمعت بنفسى من إذاعة إسرائيل فى آخر نوفمبر سنة ١٩٥٣ أن المدارس العبرية التي افتتحها اليهود فى الولايات المتحـدة بلغت إلى ذلك التاريخ ١٦٨ مدرسة . وما زالت الصهيونية دائبة على نشر اللغة العبرية فى قلب أمريكا . ولا ندرى لأى سبب يسعى اليهود فى نشر هـذه اللغة المندثرة إلا إذا كانوا يريدون بلبلة الأفـكار ، ومنع يهود أمريكا من التعلم فى غير تلك المدارس ، والعمل فى تلك البلاد بلغة لا يفهمها غيرهم . مع العلم

بأن اليهود فى فلسطين لا يسمحون بإنشاء أية مدرسة أجنبية ولو كانت علمانية — غير تبشيرية — .

وحدث أن وزير المعارف هناك صرّح بفتح مدرسة أجنبية علمانية فقامت ضجة كبيرة كادت تودى بمركز الوزير، لولا أن أعلنت الوزارة فى ذلك الوقت سحب التصريح ، ووقفت تأسيس المدرسة .

* * *

هذا ما تصنعه إسرائيل بجوارنا ، وهو يدل على أنها تعمل بروح وطنية وعنصرية ودينية ، ونحن نفتح بلادنا لسموم التبشير تضعفنا فى ديننا ودنيانا وتقاليدنا .

إن الأمة التى تريد صيانة نفسها يجب عليها أن توحّد برامجها ، وتعلم أبناءها تعليما وطنيا عاما سليما ، وتمنعهم من الدخول فى المدارس الأجنبية ، كى لا تلوث عقولهم بجراثيم أجنبية تضعف فى النشء روح الوطنية الصحيحة .

ما هى إسرائيل ؟

قامت دولة إسرائيل نتيجة مؤامرة بين الصهيونية وساسة انجلترا وأمريكا ، فمهدت انجلترا الخطوات الأولى ، بإصدارها وعد بلفور ، و بتعيين سير صموئيل اليهودى وغيره من الانجليز فى فلسطين ، و بتسهيل هجرة اليهود إليها ، حتى إذا تراخت بعض الشىء ، قام ترومان رئيس الولايات المتحدة وأتم ما أرادت الصهيونية ، فأمد اليهود بالأسلحة والذخائر ، وحرم العرب من كل عون ، ورجع عن تقسيم فلسطين رغبة فى إعطائها كلها لليهود . ثم إن انجلترا وأمريكا تركتا اليهود يفعلون مايشاءون ، من إخراج العرب من ديارهم ، وتجريدهم من أموالهم ، وتقتيلهم وتشريدهم ، وسكتتا على مخالفاتهم لقرارات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، وقرارات مايسمونه « لجنة الهدنة » وعلى اعتداءاتهم المتكررة على لبنان وسوريا والأردن ومصر . وكل ذلك أدلة قاطعة على أن مؤامرة واسعة النطاق بين اليهود و بعض ولاة الأمور فى انجلترا وأمريكا ما زالت قائمة لإخضاع العرب وإذلالهم ونهب أموالهم وطردهم وتركهم مشردين فى بقاع الأرض ، يقاسون الجوع

والعرى والمرض ، مشتتين حول فلسطين ينظرون إليها ولا يجرءون على الرجوع إلى مساكنهم ، عالمين أن وراء اليهود أسلحة انجلترا وأمريكا وهيئاتها المالية ، فوق أموال الصهيونية العالمية .

فدولة إسرائيل إذن وليدة الظلم والعدوان ، وهى ليست كسائر الدول ، فهى دولة دينية عنصرية ينبئك اسمها بحقيقتها ، فهى تتخذ اسم إسرائيل (أى النبى يعقوب) ، وهى لبنيه كما يدعون ، ولا يوجد فى العالم الآن دولة تحمل اسم نبى من الأنبياء . فهل لمسيحى الأرض ومسلميها أن يفقهوا ذلك ؟ وأن يتعاونوا لصيانة فلسطين المقدسة عندهم من عدوان دينى عنصرى كهذا العدوان ؟ وهل للمسيحيين والمسلمين أن يفقهوا أن عقيدة اليهود تحضهم على الغزو والفتح ، إلى أن يتم لهم ما أرادته التوراة ، من امتلاك البقاع الواقعة بين الفرات والنيل .

إن إسرائيل تريد استدامة ضعف الدول العربية ، ليتيسر لها التوسع شيئاً فشيئاً ، ومن سياستها أن تفرق بين جاراتها حتى تسقطها واحدة بعد أخرى . وهى تهتم بتقوية جيشها البرى والبحرى والجوى ، تقوية لا تتناسب مع ميزانيتها ، استعداداً ليوم تضرب فيه الضربة أو الضربات القاضية ، ولديها الآن من القوة ما يخيف . فجيشها من رجال ونساء قد

يصل إلى مائتي الف جندي مزودين بأحدث الأسلحة ، وفي فلسطين مستعمرات هي قلاع من الأسمنت المسلح فيها من الأسلحة ما يكفي لصد العدوان ، إلى أن يتم جمع الجيش المنظم من الجيش الاحتياطي والمتطوعين من يهود الأرض .

وقد جهزت كل قادر على حمل السلاح بأسلحته حتى إذا نفخ في الصور تجمع جيشها الاحتياطي في أقرب وقت ، وقد اتخـذت في ذلك خطة سويسرا في أن يكون لكل مواطن سلاحه وملبسه العسكري في مسكنه وفي متناول يده .

ومن المعلوم أن تقارير بعض اللجان التي أرسلتها انجلترا للتحقيق في أمر فلسطين ، أثبتت أن أرض فلسين لا يمكن أن تستوعب من اليهود أكثر ممن دخلوا اليها مع العرب أصحابها ، وأن زيادة الهجرة موجبة لعجز البلاد عن تغذية سكانها ، ونصحت بوقف الهجرة تماما . ورغم أن فلسطين ضعيفة المساحة فان حكومة إسرائيل ما زالت تجلب اليها المهاجرين ، وتكثر من عددهم ، حتى إذا ضاقت الرقعة بمن فيها احتجت بعدم قدرتها على تغذيتهم ، واغتصبت من جاراتها أرضا توسع بها مجالى حياتها . ثم تعود إلى جلب المهاجرين ، فتعود إلى الاغتصاب والفتح ، وهي مطمئنة

إلى معونة انجلترا وأمريكا ويهود الأرض جميعا وصمت هيئة الأمم المتحدة ورغبتها عن مناصرة العرب .

وهاهي ذي إسرائيل قد بدأت الآن في تنفيذ برنامجها هذا آمنة مطمئنة، معتمدة على المساعدات الرسمية وغير الرسمية التي تغدق عليها . بينما العرب لا مغيث لهم ولا مجير ، تضعهم قوى الاستعمار دائما أمام الأمر الواقع ، وتكتفي بالعطف عليهم عطفا كلاميا هو التخدير بعينه. فليفهم العرب ذلك وليكونوا منه على بينة .

أسباب قوة إسرائيل وضعف العرب :

العرب كثير ولكنهم متخاذلون متحاسدون . أما اليهود وعددهم في العالم كله أقل من عدد المصريين وحدهم ، فهم على قلتهم وحدة لا تنفصم عراها ، وكل يهودي في أي بلد من بلاد العالم يعتقد أن وطنه هو الصهيونية، ومركزها في فلسطين . ومهما تتعدد الجنسيات الرسمية بين اليهود ويظن الناس أن هذا انجليزي وذلك أمريكي والآخر فرنسي أو روسي فإنهم جميعا مواطنون صهيونيون .

وما تلك الجنسيات الرسمية إلا إجراءات شكلية يتوارى خلفها

اليهودى وهو فى حقيقته صهيونى لحما ودما . فحكومة إسرائيل إن هى إلا يهود الأرض جميعا ، يمدونها بما يستطيعون ، ويعادون أية أمة أو حكومة تفكر فى معاداة حكومتهم ، هم عيون لإسرائيل فى البلاد التى ينتمون اليها ، وهم عند الضرورة يخربون الأوطان التى تؤويهم ولو كانت انجلترا وأمريكا — فى سبيل وطنهم الدينى .

هذا ما يجب أن يفهمه العرب، ويفهمه المسلمون والمسيحيون جميعاً .

وتسعى الصهيونية فى إضعاف العرب بوسائل أصبحت مكشوفة منها:

أولا : الجاسوسية . فلاسرائيل مخابرات وعيون فى جميع البلاد العربية ، تعرف بها أدق الأعمال الإدارية والسياسية ، وما خفى من استعدادات عسكرية . وهى تستعين على ذلك فوق جواسيسها ، بمؤسساتها وهيئاتها كالماسونية وأندية الروتارى وغيرها .

ثانياً : نشر المبادئ الهدامة . فالصهيونية هى التى قلبت نظام الحكم فى روسيا بثورة سنة ١٩١٧ الجامحة ونشرت الشيوعية ، وأن كبار مؤسسى الشيوعية من الصهيونيين ، فلا يبعد بعد ذلك أن تنشر هذه المبادئ فى بلد هادئ كمصر أو البلاد العربية . والعجب أن جماعات الشيوعية فى مصر يرأسها رجال من كبار الماليين الصهيونيين ، وما ذلك إلا تنفيذاً لقرارات

حكمائهم فى ضرورة إفساد العالم وتحطيم أنظمته ، وهم يتخذون لكل أمة أسلوباً يسيرون عليه ويبشرون به ، فهم بين العمال والفقراء يحبذون الشيوعية لدفعهم إلى الفوضى والاضطراب ، وبين الأغنياء ورجال الأعمال يسعون إلى الرأسمالية ويحبذونها ، وفى الوقت ذاته يسعون فى إيجاد الفتن بين الطبقات واثارة الحروب بين الشعوب ، وهم يغنمون فى السلم والحرب ولو كانت حرباً باردة . ولم يكشف أمرهم ويعرف حقيقتهم سوى هتلر وأنصاره . ولم يكن هتلر رجل دين وتقوى كما قلنا إنما كان من عامة الناس فهم الصهيونية وأراد أن ينتشل بلده من مساوئها .

ومن واجب البلاد العربية وخاصة مصر أن تشدد الرقابة على أنصار الشيوعية وجلهم من الصهيونيين أو أتباعهم ، وإلا عرضت نفسها للضياع . ومن واجبها أن تنشط مخابراتها الخارجية والداخلية لتقف على حقيقة أعمال اسرائيل فى بلادها ، وكيف تهرب مصنوعاتها ، وتجلب من بلاد العرب المواد اللازمة لها ولتقف على قوة جيشها وحالتها الاقتصادية .

ثالثاً : تجارة المخدرات : فاسرائيل تعلم أن المخدرات أقوى الأثر فى إضعاف الشعوب ، مادياً وأدبياً جسمانيا وعقليا . ولهذا تسعى الصهيونيا فى إدخال المخدرات كالحشيش والأفيون إلى مصر وغيرها . ومن نكد

الطالع أن فئة من المهر بين العرب تقترف هذه الآثام فى حق بلادهم وفى حق مصر، فإلى متى يستمر هؤلاء فى قتل ذويهم وأوطانهم بتلك المخدرات، وتجارتها ليست سوى الانتحار، فمن يتاجر فيها إنما يقتل أمته ولا يغنم من ذلك سوى الصهيونيين .

كيف نتقى خطر الصهيونية

ظهر مما سبق ما للصهيونية من تدبيرات ترمى إلى تحقيق أغراضها السياسية والاستعمارية ، عملا بما توحى به كتبهم المقدسة من توراة وتلمود وغيرها ، وبما توصى به قرارات حكمائهم التى ذكرنا ملخصاتها ، وبما استقر فى أذهان اليهود من اعتقاد راسخ أنهم الشعب الذى اختاره الله لحكم العباد وأن دينهم أرقى الأديان وعنصرهم أرقى العناصر ، وأن باقى البشر ليسو سوى مخلوقات منحطة ، خلقها الله لخدمة اليهود ، ولتكون تحت إمرتهم وسلطانهم .

ولهذا يجب علينا أن نسعى فى اتخاذ الوسائل التى تكفل حفظ كياننا وتدفع الشر عنا ، وإلا سقطنا فى شراك الصهيونية لا محالة .

وخير الوسائل ما يأتى :

أولا : يجب أن يعرف العرب مسيحيين كانوا أو مسلمين أن إسرائيل ليست دولة كسائر الدول ، وإنما هى مجموعة دينية عنصرية متعصبة ، اصطنعها لويدجورج ، وتشرشل ، وترومان ، ومن سار سيرتهم . وما دامت

القوى البريطانية والأمريكية وغيرها تؤيد إسرائيل وتعينها ، فليس من الميسور أن نقضى عليها عسكريا . لكن هناك قوة ليست بالحديد والنار نستطيع بها أن ننتصر ، تلك هى مقاطعة إسرائيل الباغيـة اقتصاديا ، وهى أقوى سـلاح نثيره فى وجهها ، ولا يتطلب سوى التضامن النزيه ، وليس لفرد أو دولة أن تعارضنا فيه إذا كنا من ذوى البصيرة والخلق القويم .

فإسرائيل دولة تقوم على أساسين : الهبات التى ترسـل إليها من أمريكا وانجلترا وغيرها ، وتصريف إنتاجها القومى .

أما الهبات والعطايا فتلك أمور مؤقتة ، لا تصان بها أو تعيش عليها دولة . وأما تصريف الإنتاج القومى فهو الذى ينهض بالدول ويضمن حياتها . وإسرائيل لا يمكنها أن تعيش بغير أسواق الأمم المحيطة بها المتخلفة فى الصناعة . وهى تعتبر الشرق الأوسط العميل الوحيد الذى تبنى عليه آمالها . كما ترى أن أوربا وأمريكا بلاد متحضرة ليست فى حاجة إلى صناعة إسرائيل أو تجارتها .

تلك حقيقة يجب أن نفهمها جميعا . فإذا نحن قاطعنا إسرائيل ، وأحكمنا المقاطعة بنزاهة وقوة إيمان ، قضينا لا محالة على هذه الدولة الدخيلة .

أما إذا تهاونا وأسففنا فى أخلاقنا وتنازعنا وتحاسدنا ، وضاعت الثقة من بين صفوفنا — سقطنا أمة بعد أخرى كما تسقط أوراق الخريف .

وليعلم كل عربى أن إسرائيل جادة مجتهدة ، وأن اليهود متعصبون لدينهم وعنصرهم إلى أقصى الحدود . ولهم ما يساعدهم من النشاط والتضامن . وأنهم بفضل المساعدات الأجنبية سيستثمرون كل شبر مما يحتاونه ، وسيمدون السكك الحديدية ، ويهيئون الطرقات ، ويقيمون المصانع ، ويستثمرون صحراء النقب بما يأخذونه من مياه الأردن . وسيوسعون مرفأ « إيلات » على خليج العقبة ، تمخر منه بواخرهم إلى الشرق كما تمخر الآن بواخرهم من حيفا وغيرها إلى الغرب . وبذلك يكون لهم أسطول تجارى فى البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا وأمريكا ، وآخر من خليج العقبة إلى أفريقيا وآسيا ، دون احتياج إلى المرور فى قناة السويس . ولكن صادراتها لن تجد سوقا رائجة إلا فى بلاد الشرق الأوسط .

وأملنا أن ينهض السودان ، ويرفض أية صادرات من إسرائيل إليه ، كما نرجو أن تفيق الأمم العربية من غفوتها ، وأن تتعاون على الاستغناء عما تصدره هذه الدولة . فإن صادراتها إن نجحت كانت أغلالا فى أعناق الأمم العربية تنتهى بنا إلى سوء المصير .

ثانياً : ثبت أن إسرائيـل تقوم على أساس الدين والعنصر . وما دام الأمر كذلك فعلى المسيحيين والمسلمين أن يصونوا أنفسهم من التعاليم الضارة التي يبثها الصهيونيون . . . وعلى أهـل إيران والأفغان والهند والباكستان وأندونيسيا والملايو والصين ومسيحيي الحبشة ومسلميها وغيرهم أن يصونوا أنفسهم من وباء التعاليم الصهيونية ، وأن يتضامنوا مع العرب في مقاطعتها اقتصاديا كي لا يجعلوا للصهيونية ، سبيلا إلى تسرب سمومها إليهم ، فهي لا تكن لتلك الأمم جميعاً سوى الكراهية والبغضاء ، ولا تبغي سوى السيطرة عليهم واستغلالهم .

ثالثاً : إني أدعو الأمم العربية عامة ومصر خاصة إلى عدم إباحة قيام الماسونية في بلادها ، وما يتبعها من أندية الروتاري المختلطة ومؤتمرات السلام المسمومة . فإن هـــذه الهيئات جميعاً ليست سوى مؤسسات صهيونية ابتـكرها اليهود لتخدير المسيحيين أولا والمسلمين ثانياً تحت ستار الأخاء الإنساني ، حتى يصلوا بهـذه المسميات البراقة إلى تغلغل الصهيونيين فيما بينهم ، والوصول إلى قضاء مآربهم وإفساد المجتمعات غير اليهودية ، والقضاء على حريات العالم تنفيذاً لقرارات حكمائهم وأوامر توراتهم وتلمودهم .

وقد أحس كثير من الغربيين بما تهدف إليه الصهيونية ، وما
من ثورات وانقلابات وفساد فى علاقات الأمم . فنشروا مؤلفات عد
وكتبوا فى الصحف كثيرا عن الخطر الصهيونى ، وحذروا أممهم من
أعمال الصهيونية وتدبيراتها الخفية بعد أن ظهر أن الداء قد استة
فى هذه الأمم ، وأن قوة الصهيونية قد نمت جذورها فى الدوائر الحـ
وغير الحكومية ، فسيطر الصهيونيون على دور الصناعة والتجارة و
المال ودور العلم والفن ، وتغلغلوا فى المجالس النيابية وفى الوزارات ، وا
كثير منهم من وزراء انجلترا ونوابها ونبلائها ومستشارى هيئاتها و
وفنانيها ورجال النشر والاذاعة فيها واحتكروا المرافق الحيوية فى
البـــلاد ، كما احتكروها فى أمريكا وبخاصة فى نيو يورك ، وتغلغلو
الـكونجرس والقضاء العالى وهيئة الأمم المتحدة وسكرتيريتها ، وكـ
فى مجلس الأمن . وهم رجال المال والتجارة والصناعة هناك . ويشـ
أن لهم القـدح المعلى فى انتخابات رئاسة الجمهورية وحاكم نيو
كما أسلفنا — فالداء قد أصبح عضالا . ويجب على الأمم المسيحية أن
من غفوتها وأن تعالج نفسها مما وقعت فيه واستسلمت إليه قبل أن يستـ
الداء ويعز الدواء .

رابعاً : ثبت مما ذكرناه أن الصلح مع إسرائيل جريمة لا تغتفر ، وأن معناه أن تمّ تبادل التجارة والتعامل ، فتُتاح الفرصة لإسرائيل أن تغزو أسواقنا وتسلب أموالنا وتخضعنا لإرادتها ، وتنفذ فينا ما صممت عليه من بسط سلطانها على الشرق من الفرات إلى النيل وما وراء ذلك ، ولا توجد فى الأرض قوة تلزمنا هذا الصلح ، فإننا لا نحارب ولا يصح أن نفكر فى محاربتها ، لأن حربنا معها هى حرب ضد المستعمرين الأقوياء الذين يؤازرون الصهيونية ويخضعون لها من حيث لا يعلمون ، ولكن فى مكنتنا ألا نصالح وفى مكنتنا ألا نعامل الصهيونية ، وهذا أقل ما يجب عمله على الضعيف المسلوب الحق ، القوىّ الإيمان ، وذخيرته تماسكه وقوّة خُلقه ونهضته .

خامساً : أن إسرائيل تبذل جهوداً جبارة لتحيي « صحراء النقب » ولا يعوقها عنها إلى الآن عائق ، ولنا بجوارها شبه جزيرة سينا ليس فيها من عمل ، مع أنها تحوى من الكنوز مالا يخفى على أحد ، ثم هى الحصن الأول الذى تدفع به مصر عن نفسها غائلة الصهيونية ، فمن الواجب أن نصرف قوانا وجهودنا لتعمير تلك البقاع المترامية الأطراف ، نحيي مواتها بمشاريع عمرانية زراعية وصناعية ، ونجلب إليها الماء من النيل أو من الآبار ومن الأمطار والسيول ، وندفع الكثيرين من سكان المناطق

المكتظة كالمنوفية والقليوبية إلى استعمار تلك الجهات بعد أن تهيء لهم وسائل العيش فيها وطريقة استثمار أراضيها ، أو تسن تشريعاً تستعمر به تلك المنطقة كتشريعات المعمرين التي وضعتها انجلترا وفرنسا لاستعمار استراليا ونيوزيلنده وجويانا وغيرها .

سادسا : قلنا إن الصهيونية خطر على العالم ، وأشده واقع على البلاد العربية ، وإن أساسها ديني عنصري ؛ فهل للحكومات العربية دفاعاً عن كيانها أن تفكر فى تشريعات ضد أى عربى أو غير عربى يقيم فى البلاد العربية إذا ثبت اشتراكه فى أعمال تخدم الصهيونية ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة كالتجسس وتهريب البضائع فى التصدير أو الاستيراد ، أو دفع هبات لإسرائيل ، أو شراء أسلحة أو تهريبها لها ، وغير ذلك من الأعمال التي تخل بأمن الوطن العربى وتهدد كيانه .

سابعاً : الآن وقد تأكدنا أن إسرائيل تعتبر نفسها وطن اليهود جميعا وطنهم الديني والعنصري ، وأن باقى اليهود المنتشرين فى الأرض إنما يعتبرون أنفسهم مواطنين إسرائيليين ، ولو كانت لهم جنسيات أجنبية رسمية هى فى الحقيقة صورية ، الغرض منها تسهيل معاشهم واشتراكهم فى إدارة البلاد التي تؤويهم ، وأن إسرائيل طردت الفلسطينيين من

أوطانهم ، ولم تقبل عودتهم وتعويضهم رغم قرارات هيئة الأمم ، فلم لاتقاطع الأمم العربية جميع الشركات الصهيونية والشركات التى تتعامل مع إسرائيل ووكلاء الشركات متى كانوا يهوداً ، والسماسرة ورجال الأعمال اليهود من أية جنسية كانوا ، وهذا أقل ما يجب عمله حيال الاعتداء الصارخ الممثل فى إسرائيل .

ثامناً — اغتصب الصهيونيون فلسطين وأقاموا بها دولة ثم أحيوا لغتهم العبرية بعد موتها وجعلوها لغة البلاد الرسمية . وقام يهود الأرض يحيون هذه اللغة بما وسعهم من جهد ، وأعلنت إسرائيل فى إذاعتها فى آخر شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ أن عدد المدارس العبرية فى الولايات المتحدة بأمريكا بلغ ١٦٨ مدرسة كما ذكرنا . فإذا كان اليهود فى بقاع الأرض قد أحيوا لغة ميتة للتفاهم بها فيما بينهم ، أفلا يكون من واجب المسلمين جميعاً أن يجعلوا اللغة العربية — وهى لغة حية — لغة مشتركة فيما بينهم فى التجارة والصناعة . وأن يجعلوها لغة التخاطب الرسمية بين الحكومات الإسلامية والعربية . وأن تسعى بلاد الأفغان وإيران وباكستان وإندونيسيا وغيرها فى نشر هذه اللغة بين أبنائها فتقوى بذلك صلات الود والتماسك ، ويزداد التعاون الاقتصادى والسياسى ، وفى هذا من الفوائد ما لا يخفى على أحد .

وقد فطنت المؤتمرات الإسلامية التي انعقدت في كراتشي إلى ذلك ، وقررت وجوب جعل اللغة العربية لغة مشتركة بين المسلمين .

ومما يدمي القلوب أن تهتم إسرائيل بتعميم اللغة العبرية الدارسة ، ونحن العرب لا نهتم بنشر لغتنا العربية الحية ، رغم وجود الرغبة الصادقة لدى الشعوب الإسلامية في تعلمها لأنها لغة دينهم .

لقد لمست ذلك بنفسي عندما كنت سفيراً لبلادي في الباكستان ، فأرسلت إلى حكومتي تقارير أطلب فيها إنشاء ثلاث مدارس ابتدائية مصريه عربية في « كراتشي » و « ولاهور » و « دكا » . على أن تنشأ فيما بعد مدرسة ثانوية هناك . واتفقت وقتئذ مع المرحوم « لياقت علي خان » رئيس الوزارة في ذلك العهد ومع غيره من ذوي النفوذ على ضرورة تنفيذ هذا المشروع الذي يتلهف الباكستانيون على ظهوره ، ولم أجد من حكومتي في تلك الأوقات سوى التراخي والأعراض ، مع أنها مع الأسف قامت بافتتاح ما تسميه « معاهد اللغة العربية » في « أثينا » و « باريس » و « مدريد » أنفقت عليها مبالغ كبيرة بلا جدوى .

تاسعاً — وأهم مما سبق كله ، أن مصر يجب أن تنشيء جيشاً يليق بمركزها وعدد سكانها وإمكانياتها ، وتنفق عليه بسخاء ، فإن حياتها وشرفها

مرتبطان بقوة جيشها ، وهذا يتطلب قدرة مالية لاتتأتى إلا بزيادة الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى ، وقدرة فنية لا تتحقق إلا بنشر العلوم والفنون فى جميع فروعها المتعددة ، ويقظة كاملة لايضعفها الخمول والتواكل ولا يقتلها التخاذل والتحاسد فإن لم نفعل هذا كله فمصيرنا إلى الهلاك لا محالة .

عاشراً — ثبت أن الولايات المتحدة الأمريكية هى الآن المصدر الرئيسى لقوة الصهيونية ، تمدها بالمال والعتاد قبل غيرها وأكثر من غيرها . وأن مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة السابق — رغم أنه مسيحى — كان أكبر رجل خدم الصهيونية ويخدمها ، وأن مسز روزفلت أرملة الرئيس الأسبق روزفلت — وهى مسيحية أيضاً — هى أكبر سيدة تخدم الصهيونية فى أمريكا ، فهى تقوم بجمع المال و بالدعاية القوية لإسرائيل . وأن انجلترا وغيرها من الدول المسيحية تساعد إسرائيل ، وأن يهود الأرض يخدمونها طبعاً .

ومعنى هذا أن قوة إسرائيل هى من خارجها . فلماذا إذن لا يتعاون المسلمون مع البلاد العربية على صد أذى إسرائيل ؟ إننى على يقين من أن الأمم الإسلامية لو أعلنت تضامنها مع الدول العربية وأيقنت إسرائيل

أن الدول الإسلامية لن تقف مكتوفة الأيدى أمام العدوان الصهيونى ، فإن اعتداءاتها على جاراتها المتكررة تقف لامحالة ، وإنى أوجه كلمتى هذه بنوع خاص إلى الباكستان وأندونيسيا وإيران والأفغان .

حادى عشر : تود أمريكا وانجلترا أن يكون الشرق الأوسط ، أو الحكومات العربية الداخلة فى نطاق جامعة الدول العربية ، كتلة واحدة للدفاع عن السلام ، أو الدفاع عن العالم الحر — كما يقولون — وبعبارة أخرى تريد أمريكا وانجلترا شيئا اسمه الدفاع المشترك ، أومايقرب منه ، ومعناه أن تهب الأمم العربية وقت الخطر كدولة متراصة قوية لصد أى اعتداء ، لكن أمريكا وانجلترا فوق رضائهما باحتلال كثير من البلاد العربية ظلماً وعدوانا ، قد خلقت دولة إسرائيل ومنعت الاتصال بين الأمم العربية وشطرتها شطرين ، فلا يمكن لمصر مثلاً أن تتصل بالأردن أو العراق أو سوريا أو لبنان إلا إذا اخترقت الأراضى التى أعطيت لإسرائيل ، ولن يكون هذا إلا إذا سمحت إسرائيل . ومعناه ضرورة الاتفاق مع إسرائيل وجعل الكل كتلة واحدة . وبعبارة أخرى معناه اندماج إسرائيل فى دول الشرق العربى ، وجعل هذه الدولة الدخيلة حليفة صديقة ، والاعتراف بها والتعاون معها ، الأمر الذي لا يطيقه أي عربي

فيه مسحة من عقل ، لأن معناه انحلال هذه الدول العربية وتعريض استقلالها للضياع وتغلغل الصهيونية فيها ، وتمكنها من تنفيذ مشاريعها البعيدة .

والويل للدول العربية إذا هي دخلت في دفاع مشترك ، وانتهزت إسرائيل فرصة اشتباكها في حرب وطعنتها في ظهرها أملاً في الوصول إلى اغتصاب شيء من أراضيها ، ولو بالاتفاق مع العدو المعتدى على الأمم العربية والشرق الأوسط ، كما يجب علينا إزالة هذا الدخيل حتى يمكننا أن ننفذ ميثاق الضمان الجماعي العربي على أكمل وجه .

خاتمة

إن خلق دولة إسرائيل وضع شاذ ، فأحد أمرين :

إما أن يستمر وجودها فيستمر اعتداؤها على جاراتها ، ساخرة بقرارات هيئة الأمم المتحدة ، مطمئنة إلى رضا دول الاستعمار ، أملاً في تنفيذ مشروعها الخطير وهو إنشاء دولة من الفرات إلى النيل .

وهذا خطر دائم يهدد كياننا ، ويجعلنا نعيش دائماً في قلق شديد .

وإما أن يرجع اليهود إلى أوطانهم الأصلية أو يوزعوا على دول العالم كل دولة بقدر طاقتها ، كما اقترح المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود على الرئيس الراحل روزفلت عندما قابله على ظهر الباخرة في مياه مصر . وهو نفس ما اقترحته بعض الدول أمام هيئة الأمم المتحدة . وهذا هو الحل الوحيد .

ولا يصح أن يقال إن إسرائيل أمر واقع لا تجوز إزالته ، فإن إسرائيل وليدة جريمة ونتيجة مؤامرات آثمة ، وكل جريمة هي أمر واقع لا يجوز إقراره والرضوخ لنتائجه ، فإذا كانت هيئة الأمم المتحدة تبغي حقاً

تنفيذ برنامجها والاحتفاظ بكرامتها وأسباب وجودها ، وجب عليها إزالة آثار أى أمر واقع لأية جريمة ، وإلا كان وجود الهيئة هُزوًا ولعبا .

* * *

وعلى هذا فالحل الوحيد هو إرجاع اليهود إلى أوطانهم ، أوتوز يعهم فى الأقطار المختلفة ، على أن يكونوا مواطنين مخلصين للدول التى تؤويهم وتكسبهم جنسيتها ، وأن تنشط الحكومات فوق ذلك لمنع شرور الصهيونية العالمية نشاطا كبيرا ، و بغير هذا لن يكون سلام فوق الأرض .

وها أنا قد بلغت . اللهم فاشهد ...

موضوعات الكتاب

الخطأ والصواب

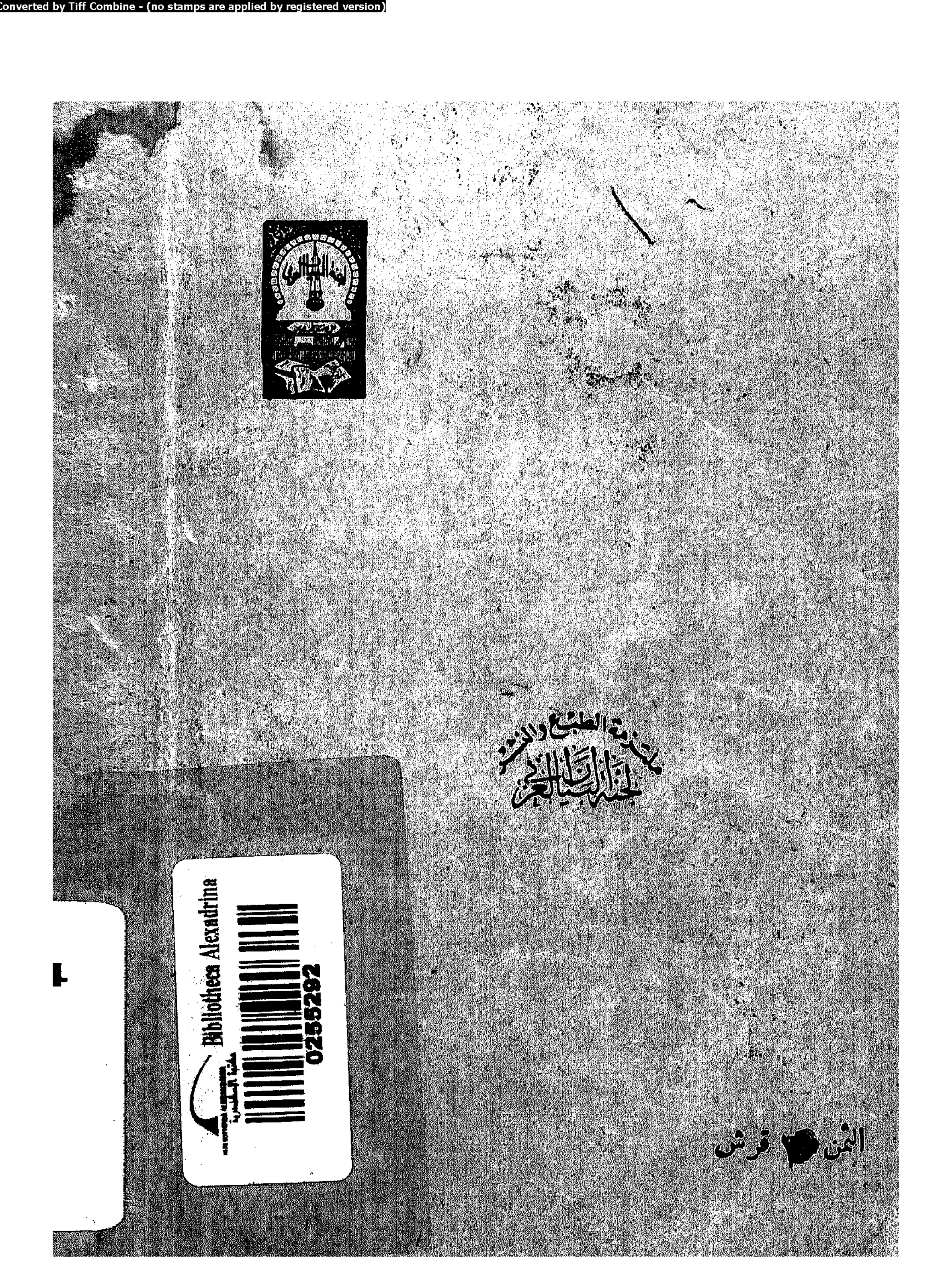
الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
المكبر	الكبير	١٥٢	١٦
فقد	قد	١٦١	٦

قائمة مطبوعات اللجنة

			قرش
١	يسألونك	الأستاذ عباس محمود العقاد	٢٥
٢	أثر الشرق في الغرب ...	الدكتور فؤاد حسنين	١٥
٣	قصة الكهرباء واللاسلكي	الأستاذ محمد عاطف البرقوقي	٢٥
٤	مشكلاتنا الاجتماعية ...	« محمد عطية الإبراشي	٢٠
٥	الحبشة	« حسن محمد جوهر	٢٠
٦	الغزل عند العرب	« حسان أبو رحاب ...	٢٥
٧	عائشة أم المؤمنين	الآنسة زاهية مصطفى قدور	٢٥
٨	الفلسفة القرآنية	الأستاذ عباس محمود العقاد	٣٠
٩	أحاديث الصباح	الشيخان محمود شلتوت ومحمد المدني	١٥
١٠	أبطال الشرق	الأستاذ محمد عطية الإبراشي	١٥
١١	أبو العتاهية	« محمد أحمد برانق ...	١٥
١٢	الراهبة المتوحشة	دكتور عباس إبراهيم حسن	١٠

		قرش
٢٩ — علم اللغة ... ... :	دكتور على عبد الواحد وافى	٥٠
٣٠ — طب الطبيعة ... ... :	الأستاذ محمد عاطف البرقوقى	٣٠
٣١ — أحلام اليقظة	تأليف دكتور ج . هـ . جرين ترجمة ابراهيم حافظ ... ... ومراجعة الاستاذ زكى المهندس	٣٠
٣٢ — رفاعة الطهطاوى ... ... :	الأستاذ أحمد أحمد بدوى	٥٠
٣٣ — المراهقة ... ... :	دكتور جورج .هـ. جرين ...	١٥
٣٤ — فلسفة أبى العلا المعرى ... :	الأستاذ حامد عبد القادر ...	٣٠
٣٥ ألحان الغروب ... ... :	« طاهر الطناحى ...	٣٠
٣٦ — أساس العدالة فى القانون الرومانى	دكتور على حافظ	٢٥
٣٧ — غـرام يزيد ... ... :	الأستاذ محمود غنيم	١٥
٣٨ — فى اللهجات العربية ... :	دكتور إبراهيم أنيس ...	٤٥
٣٩ — أراضينا ... ... :	دكتور محمود يوسف الشواربى	٥٠
٤٠ — تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية :	دكتور مصطفى الخشـــاب	٧٥
٤١ — أصول الإلتزامات فى القانون المدنى :	دكتور مختار القـــاضى	٥٠
٤٢ — كيمياء المعادن طبعة ثانية :	دكتور محمود يوسف الشواربى	١٠٠




ملتزمة الطبع والنشر
لجنة البيان العربي
الثمن قرش